# إشكاليّة ترجمة مصطلحات النقد الأدبي الحديث إلى العربيّة: المظاهر، والأسباب، والحلول

# Concepts And Problems in the Humanities and Social Sciences
# Social Phenomena As A Model


أ. د. محمد الصحبي العلاني

أ. د. عبد الله حمود عبد العزيز الفوزان

جامعة القصيم

المملكة العربية السعودية

m.allani@qu.edu.sa

afozan@qu.edu.sa

# إشكاليّة ترجمة مصطلحات النقد الأدبي الحديث إلى العربيّة: المظاهر، والأسباب، والحلول[1]

أ.د. محمد الصحبي العلاني، أ. د. عبد الله حمود عبد العزيز الفوزان

**ملخص:**

يتناول هذا البحث بالدرس إشكاليّة ترجمة مصطلحات النقد الأدبيّ الحديث إلى اللغة العربيّة، فيركّز على مجال تخصّص دقيق هو ذاك المتعلّق بالسرد وأنماطه وظواهره، انطلاقا من مدوّنة تشمل أربعة معاجم متخصّصة، نُشرت في الفترة الممتدّة بين سنة 2002 وسنة 2010، بعضُها مُعرّبٌ من الإنجليزيّة، والبعض الآخر مؤلّف مباشرة بلغة الضاد.

ومن خلال اعتماد منظور إبستيمولوجيّ في تناول الإشكاليّة المطروحة، كشف البحث في قسمه الأوّل عن أهمّ المنطلقات التي تأسّست عليها المعاجم الأربعة، وعن السياقات التي وجّهتها؛ وبيّن كيف أنّ إشكاليّة المصطلحات ليست وليدة السياق العربيّ، بل إنّها تجد أصولها الأولى في المصادر الغربيّة التي استمدّ منها المترجمون والمؤلّفون العرب مادّتهم.

ومن أجل تحليل طبيعة الإشكاليّة تحليلا تفصيليّا، والكشف عن تجلّياتها في الخطاب النقديّ؛ ركّز البحث في قسمه الثاني على بيان الكيفيّة التي حدّد وفقها أصحاب المعاجم الأربعة الهويّة المعرفيّة للمباحث السرديّة؛ فانتهى إلى نتيجة مركزيّة مفادها أنّ قضايا المصطلح -هذه التي تبدو في الظاهر مجرّد مسائل "تقنيّة" مرتبطة بخصوصيّات الصناعة المعجميّة- هي في عمقها قضايا فرضها نمط إنتاج المعرفة في المجال العربيّ، وأملتها قوانين التثاقف غير المتكافئة التي لم يكن من السهل على أصحاب المعاجم تجاوزها.

وتتويجا لمسار التحليل والنقد الذي كشف عن الأصول الإبستيمولوجيّة العميقة للإشكاليّة المطروحة، وبيّن تجلّياتها وأبعادها، تضمّن القسم الثالث من البحث مجموعة من الحلول والبدائل التي يمكن أن تُسهم في تصحيح مسارات التثاقف وفي جعل ترجمة المصطلحات مدخلاً إلى الإثراء المتبادل بين الثقافات.

**الكلمات المفاتيح:** إشكالية المصطلح، معجميّة، سرديّات، تنازع معرفي، تثاقف.

---

1- حصل هذا البحث على المنحة رقم (2024/567) من المرصد العربي للترجمة التابع لمنظمة الإلكسو، وبدعم من هيئة الأدب والنشر والترجمة بالمملكة العربيّة السعوديّة.

This reseatch received gran n°(567/2024) from the Arab Observatory for Translation (an affilate of ALECSO, which is supported by the Literature, Publishing & Translation Commission in Saudi Arabia.

## ABSTRACT:

This research examines the issue of translating modern literary criticism terms into Arabic, focusing specifically on the field related to narrative, its types, and phenomena. It is based on a corpus that includes four specialized dictionaries published between 2002 and 2010, some of which are Arabic translations from English, while others were originally composed in Arabic.

By adopting an epistemological perspective on the issue, the first part of the study revealed the main foundations on which the four dictionaries were based and the contexts that guided them. It demonstrated that the problem of terminology is not a product of the Arab context alone but rather has its primary origins in the Western sources from which Arab translators and authors drew their material.

To analyze the nature of this issue in detail and to uncover its manifestations in critical discourse, the second part of the research focused on how the authors of the four dictionaries defined the epistemic identity of narrative studies. It reached a central conclusion that terminology issues -although apparently merely "technical" matters related to the specifics of dictionary-making- are fundamentally imposed by the mode of knowledge production in the Arab field. These issues are also shaped by the unequal acculturation exchange dynamics that the dictionary authors found difficult to overcome.

Culminating the process of analysis and critique, which uncovered the deep epistemological roots of the problem and demonstrated its manifestations and dimensions, the third part of the research includes a set of solutions and alternatives that could contribute to correcting the intercultural exchange trajectories and making term translation an entry point for mutual enrichment between cultures.


**Key words:** Terminology issue, lexicography, narratology, epistemic conflict, intercultural exchange.

## 1- مقدمة:

لم يكن النقد العربيّ الحديث منغلقا على ذاته، مكتفيا بما وصله من تراث الأقدمين، بل إنّه ظلّ يتفاعل مع ما أمكنه الاطّلاع عليه من النظريّات الوافدة ذات الأصول الأجنبيّة، فيحاول استيعابها ونقلها والأخذ بها، ويسعى إلى تطبيقها على شتّى النصوص الأدبيّة القديمة والمُحدَثة. وفي خضمّ حركة التفاعل هذه، طُرِحت إشكاليّةُ ترجمة المصطلحات النقديّة إلى لغة الضاد، فأبانت عن وجوه من الفهم متعدّدة، وعن ضروب من الاجتهاد متنوّعة؛ وذلك ما بدا واضحا بشكل خاصّ ضمن المجال الذي اعتنى فيه الدارسون بالسرد وما يتّصل به من نظريات ومفاهيم وأدوات تطبيقيّة وإجرائيّة.

وقد آثرنا أن ننطلق في بحثنا هذا من مدوّنة رأينا أنّها أكثر تمثيلا للإشكاليّة المطروحة، وأعمق تعبيرا عن القضايا التي عُولِجت في نطاقها، ونقصد بذلك عددا من المعاجم المتخصّصة التي نُشرت باللغة العربيّة على امتداد السنوات العشر الأولى من الألفيّة الثالثة، وتحديدا بين سنة 2002 وسنة 2010 ميلاديّا. ويتعلّق الأمر -حسب الترتيب التاريخيّ- بالمصنّفات الآتية:

1. **معجم مصطلحات نقد الرواية**(1) لصاحبه اللّبناني لطيف زيتوني. وهو معجم ثلاثيّ المداخل، عربيّ إنكليزي فرنسيّ، صدر سنة 2002، ويمكن أن نَعُدّه فاتحة الأعمال المعجميّة العربيّة في بابه.

2. **قاموس السرديّات**(2)، وهو عمل معرَّب نَشَرَه المترجم المصريّ السيّد إمام سنة 2003، ووضع من خلاله بين يدَيْ قرّاء لغة الضاد معجما سبق للباحث الأمريكيّ جيرالد برنس (Gerald Prince) إصداره باللّسان الإنجليزي سنة 1987 تحت عنوان (*A Dictionary of Narratology*)(3).

3. **المصطلح السردي**(4)، وليس هذا العمل الذي ظهر، هو أيضا، سنة 2003 إلاّ تعريبا آخر للمعجم نفسه، معجم جيرالد برنس الذي سبقت الإشارة إليه. ولكنّ المترجِم السعوديّ عابد خزندار، ومُراجع الترجمة وواضع مقدّمتها المصريّ محمد بريري لم يتقيّدا بعنوان الأثر الأصليّ، عنوان (*A Dictionary of Narratology*)، ولم يؤدّيا معناه أداء وفيًّا، لا في صفحة غلاف الترجمة حيث أوردا عنوانا من ابتداعهما (**المصطلح السرديّ**)، ولا في صفحتها الداخليّة حيث اكتفيا بإضافة عبارة (**معجم مصطلحات**) بين قوسَيْن، في ما يشبه التوضيح أو الاستدراك(5).

---

1- لطيف زيتوني، **معجم مصطلحات نقد الرواية** (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون-دار النهار للنشر، 2002).

2- جيرالد برنس، **قاموس السرديّات** (القاهرة: ميريت للنشر والمعلومات، ترجمة: السيّد إمام، 2003).

3- Gerald Prince, **A Dictionary of Narratology** (Lincoln & London: University of Nebraska Press, 1987).

4- جيرالد برنس، **المصطلح السردي** (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ترجمة: عابد خزندار، مراجع وتقديم: محمّد بريري، 2003).

5- ممّا يجدر التنبيه إليه أنّ محمّد بريري مُراجعَ الترجمة يشير صراحة في المقدّمة التي وضعها إلى أنّ «عنوان هذا السِّفْرِ في لغته الأصليّة هو *Dictionary of Narratology* [كذا في الأصل! والأصوب "*A Dictionary of Narratology*"]"معجم في علم السرد"» (ص8). ولكنّه لا يوضّح سبب العدول عن العنوان الأصليّ، ولا الدواعي التي حملته، وحملت المترجم معه، على اختيار عنوان آخر مِن وَضْعِهِما؛ ولا سيما أنّ العنوان الجديد الذي اختاره يُعطي انطباعا مضلّلا بأنّ الأمر يتعلّق بدراسة حول المصطلحات السرديّة، لا بمعجم متخصّص فيها.

4. **معجم السرديّات**[1]، وهو عمل جماعيّ صدر سنة 2010، أي زهاء عَقد من الزمان بعد صدور الأعمال التي سلفت الإشارة إليها، وقد اشترك في إنجازه عدد من أساتذة الجامعات التونسيّة تحت إشراف الدكتور محمد القاضي، وضمّ مداخل ثلاثيّة اللّسان: عربيّة وفرنسيّة وإنجليزية.

وسنحاول، في بحثنا[2] هذا، أن نستجلي -**أوّلا**- **المنطلقات النظريّة** التي نهضت عليها مدوّنتنا، سواء أكانت منطلقات **صريحة**، بادر أصحابُها إلى الكشف عنها والمجاهرة بها؛ أو **ضمنيّة**، يمكننا الاهتداء إليها واستخلاصها من القرائن الدالّة عليها. ووعيا منّا بأنّ هذه المنطلقات بنوعَيْها ليست من قبيل المجرّدات المطلقة، بل هي ثمرة من ثمار التفاعل مع الواقع، فقد صرفنا عنايتنا إلى الكشف عن **السياقات** المختلفة التي حفّت بالمدوّنة وأسهمت في توجيهها؛ حتّى إذا ما اتّضحت أمامنا المنطلقات، واستقامت في أذهاننا أصولها، واستبانت سياقاتها؛ مررنا -في **قسم ثانٍ** من البحث- إلى بيان **مظاهر الإشكال** الذي تنطوي عليها حالُ المصطلحات النقديّة، مركّزين في ذلك على **النماذج الأكثر تمثيلاً ودلالةً**. ومن خلال دراستنا لهذه النماذج، وتحليلنا لها، سنحاول **الكشف عن أسباب الاختلاف** الواقع بين الدارسين، وعن **الآثار التي ترتّبت عليه**. وانطلاقًا ممّا سنحلّله ونعلّله، فإنّنا سنخصّص **القسم الثالث والأخير** من بحثنا **لاقتراح بعض الحلول** التي يمكن تدبّرها والأخذ بها من أجل تجاوز إشكاليّة المصطلح، لا في مجال الدراسات المتعلّقة بالسرد وحده، بل ربّما في ما عداه من مجالات النقد الأدبيّ المختلفة.

## 2- القسم الأوّل: المنطلقات والسياقات:

تشترك المصنّفاتُ التي تُشكِّل مادّة مدوّنتنا، سواء منها المصنَّفان اللّذان وُضِعا أصلا في اللغة العربيّة (زيتوني، 2002؛ القاضي، 2010)، أو اللّذان نُقِلا إلى لغة الضاد (إمام، 2003؛ خزندار، 2003) من لسان أعجميّ (Prince، 1987) في القول بأنّ المبحث المعروف في الإنجليزيّة بـ(Narratology) وفي الفرنسيّة بـ(Narratologie) هو مبحث حديث النشأة.

وبالرغم من حصول ما يُشبه الإجماع على هذا الحكم، فإنّ أصحاب المصنّفات قد اختلفوا بعض الاختلاف في تقدير مدى الحداثة، وتفاوتوا في بيان حدودها. فلطيف زيتوني مؤلّفُ «معجم مصطلحات الرواية» يَعُدُّ المبحثَ -لفرط جِدّتِه- من المباحث التي «لم تستقرَّ بَعْدُ في صورة معلومة»[3]. وقريبٌ منه ما عبّر عنه محمّد القاضي في مقدّمة «معجم السرديّات»، حين أشار إلى أنّ الأمر يتعلّق بحقل «من الحقول المعرفيّة الحديثة التي ازدهرت في النصف الثاني من القرن العشرين»[4]. أمّا محمّد بريري، مُراجع ترجمة

---

1- محمّد القاضي وآخرون، **معجم السرديّات** (تونس: دار محمد علي للنشر، **2010**).

2- من منطلق حرصنا على أن يكون خطابنا التحليليّ النقديّ في هذا البحث خطابا موضوعيّا مُحايدا، فقد تجنّبنا -قدر الإمكان- استعمال المصطلحات المُعرَّبة التي اقترحها أصحاب المصنّفات الأربعة المذكورة آنفا مقابلا للمصطلحَيْن الإنجليزيّ (Narratology) والفرنسيّ (Narratologie). وبدلا من تبنّي هذا المصطلح المُعرّب أو ذاك، استعملنا عبارات من قبيل: «مبحث السرد»، «مباحث السرد وقضاياه»، «الدراسات السرديّة»، «مجال التخصّص»... وما جرى مجراها من صيغ التعبير العامّة.

3- لطيف زيتوني، **معجم مصطلحات نقد الرواية**، مصدر سابق، ص8. [التشديد من عندنا].

4- محمّد القاضي وآخرون، **معجم السرديّات** (تونس: دار محمد علي للنشر، **2010**).

معجم «المصطلح السرديّ» وواضعُ مقدّمتها، فقد بدا أكثر احترازًا وحذرًا؛ لأنّ المبحث -في نظره- ليس جديدا الجِدّة كلّها، أو طريفا بإطلاق، بل هو -حسب رأيه- «حديث النشأة *نسبياً*»[1]، بما أنّ تجلّياته الأجنبيّة الغربيّة الأولى قد ظهرت -مثلما يقول- عبر «مناقشات مستفيضة في حقبة الستّينيّات وما تلاها»[2].

وبصرف النظر عن الفروق بين المصنِّفِين، فقد بدا لنا قولهم بـ "الحداثة" أو بـ "نسبيّتها" قولا جديرا بالتدبّر والمراجعة؛ ولا سيّما أنّ إسهام العرب في مبحث السرد، تأليفا للمعاجم وترجمة لها، قد ظهر خلال العقد الأوّل من الألفيّة الثالثة، أي بعد زهاء نصف قرن من بداية اهتمام الغربيّين به.

ويمكننا أن نفسّر وضعيّة التأخّر الزمانيّ هذه، من خلال النظر في طبيعة السياقات التي اكتنفت نشأة الاهتمام الغربيّ بالسرد وقضاياه، من ناحية؛ وخصوصيّة التحوّلات المختلفة التي طرأت على هذا الاهتمام، من ناحية أخرى. وذلك ما يكشف لنا عنه حرصُ جُلِّ أصحاب المصنّفات على تقديم عرض تاريخيّ موجز للأصول التي يعود إليها المبحث، وللظروف التي حفّت بانبثاق أُولى الجهود الغربيّة فيه.

فقد أشار لطيف زيتوني إلى أنّ لمبحث السرد أصولا عريقة إليها ينتسب، وجذورا عميقة منها ينهل ويستمدّ. والمقصود بالأصول أو الجذور عنده، تلك «العلوم التي ساهمت في ولادة [المبحث]»[3]، وكانت -حسب رأيه- بمثابة «العلوم المساعدة، كاللّسانيّة وسيمياء الخطاب وعلوم الاتّصال، وسواها»[4]. ولا يختلف الأمر كبير اختلاف مع محمّد القاضي، فهو ينحو منحى لطيف زيتوني ويذهب مذهبه حين يشير إلى أنّ الجهود في مباحث السرد «تنهل من غيرها من المعارف، كاللّسانيّات، والسيميائيّة، والتداوليّة»[5].

ولكنّ القاضي سرعان ما يتخطّى هذه الفكرة، ويوسّعها، فينظر إليها من زاوية مقابلة، عندما يؤكّد أنّ المبحث لم يَبْقَ عالة على العلوم التي احتضنته في طور نشأته الأُولى، بل إنّه أضحى -وقد اشتدّ عوده وبلغ رشده- قادرا على مدّ هذه العلوم وغيرها ممّا عداها بثمرات نتاجه المعرفيّ، بعدما نجح في أن «يتسرّب إلى اختصاصات كثيرة شأن الأدب والتاريخ والفلكلور والمسرح والسينما والموسيقى...»[6]، وذلك ما سمح له بأن «يتنزّل [...] منزلة محوريّة من البحث المتعدّد الاختصاصات»[7]؛ أي أنّنا -وفق تقدير محمّد القاضي- إزاء طورَيْن اثنَيْن بارزَيْن: **طور جنينيّ** ظلّ المبحث خلاله **يستمدّ مفاهيمه وأدواته** من العلوم التي مثّلت بالنسبة إليه رحما حاضنة؛ أعقبه **طور** آخر **تمايز فيه** عن تلك العلوم، وسعى إلى **الاستقلال بذاته** عنها استقلالاً غير يسير، حتّى أضحى محطًّ أنظار سائر التخصّصات المعرفيّة التي بدت بحاجة إليه، تستفيد من منجزاته، وتستضيء بمفاهيمه، وتتوسّل أدواته.

1- جيرالد برنس، **المصطلح السردي**، مقدّمة المُراجع، ص5.
2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
3- لطيف زيتوني، **معجم مصطلحات نقد الرواية**، ص8.
4- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
5- محمّد القاضي وآخرون، **معجم السرديّات**، مصدر سابق، ص5.
6- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
7- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وخلافا لما عليه الأمر مع لطيف زيتوني ومحمّد القاضي اللّذَيْن أرجعا المبحث إلى أصول عديدة وعادا به إلى جذور متنوّعة، فإنّ محمّد بريري قد نسبه إلى أصل واحد، حين عَدَّه -وفق تعبيره الذي يغلب عليه المجاز- «ربيب الفكر البنيويّ»[1]، أي فرعا من فروع هذه الرؤية المنهجيّة التي تكرّست في فرنسا، خاصّة، وسادت حينا من الدهر في سائر الأقطار الغربيّة، منذ سنوات الستّين من القرن الفائت. وممّا يُفهم من هذا التعبير المجازيّ أنّ "المبحث الربيب"، ذو نسَب ثابت تؤكّده صلات الدّم، ولكنّه -بحكم خصوصيّة درجات القرابة وتفاوتها- يُحمل محمل الفرع الواقع على الهامش، مقارنة بالمنزلة التي عليها "الأبناء الخُلَّص". فالمبحث -بهذا المعنى- واقعٌ في منزلة بين المنزلتَيْن: منزلة "**المعترف به**"، من ناحية؛ ومنزلة "**المُلْحَق**"، من ناحية أخرى.

ومهما يكن من أمر، فالثابت لدينا -من خلال تتبّعنا للعروض التاريخيّة الموجزة الواردة في مقدّمات المصنّفات العربيّة والمعرّبة- أنّ أصحابها كانوا واعين، درجات من الوعي قلّت لدى بعضهم، وعظُمَت لدى البعض الآخر، بأنّهم إزاء مجال معرفيّ ظلّ **الانفتاح** سِمَتَه الرئيسة، ولا سيّما أنّه استعار من المباحث التي سبقته تاريخيّا واحتضنته معرفيّا، مفاهيمَها وأدواتِها؛ ثمّ لم يلبث أن استقلّ عنها شيئا ما؛ ولكنّه عاد فخالطها وتداخل معها، حين أمدّها بما انبثق في نطاقه من مفاهيم وأدوات مستنبَطة حملت بصمته الفريدة التي كان لها أثر بعيد في سائر التخصّصات؛ وهذا ما جعله في حال من **المخاض المستمرّ**، و**التجدّد الدائب**.

ومن الطريف أن نلاحظ أنّ هذا الوعي **بانفتاح المبحث، أخذا وعطاء، وبتخلّقه المستمر، تأصيلا وتجديدا**، لا يمثّل سِمة اختصّت بها المصنّفات العربيّة أو المعرّبة وحدها؛ بل إنّه ينسحب أيضا على معجم جيرالد برنس (*A Dictionary of Narratology*) الذي نُشر -للتذكير- سنة 1987. فممّا يستوقفنا في هذا المعجم الذي يُعَدُّ لدى الغربيّين رائدا، فريدا في بابه، إشارةُ جيرالد برنس التي جاء فيها قولُه: «لقد أَخذتُ بعين الاعتبار الجهودَ السرديّة للّسانيّين، وعلماء النفس، والأنتروبولوجيّين، والمؤرّخين، وطلبة الذكاء الاصطناعيّ، ولم أَغْفَلْ عن أرسطو»[2].

ففي هذه الإشارة إعلان صريح عن أنّ أصول المبحث المدروس وموادَّه الأُولى تعود إلى حقول معرفيّة يَعُدُّها الدارسون جديدة كاللّسانيات، وعلم النفس، والأنتروبولوجيا، والتاريخ؛ ولكنّها ترجع أيضًا إلى عريق

---

1- جيرالد برنس، **المصطلح السردي**، مصدر سابق، مقدّمة المُراجع، ص5.

2- Gerald Prince, *A Dictionary of Narratology*, p. VII. [الترجمة من عندنا]

قارنها بترجمة عابد خزندار التي جاء فيها:

«وقد أخذت بالاعتبار الأعمال السرديّة للألسنيّين والسيكولوجيّين والأنتروبولوجيّين والمؤرّخين وشداة العلوم المصطنعة دون أن أنسى أرسطو»، جيرالد برنس، المصدر نفسه، ص11.

وقارنها أيضا بترجمة سيد إمام التي جاء فيها:

«... واضعا في الاعتبار، الجهد الذي بذله اللسانيون وعلماء النفس والأنثروبولوجيون، والمؤرخون، ودارسو الذكاء الصناعي، ولم أنس أرسطو بالطبع»، جيرالد برنس، **قاموس السرديّات**، مصدر سابق، ص5.

النظريّات المستمدَّة من نصوص النقد الأدبيّ اليونانيّ التأسيسيّة، نصوصِ أرسطو، خاصّة؛ ونصوصِ أستاذه أفلاطون مِن قَبله، دون شكّ؛ ونصوصِ شرّاحهما من بعدهما، بكلّ تأكيد.

وبالإضافة إلى ذلك كلّه، فإنّ المبحث المدروس -في نظر جيرالد برنس- ضارب في الإحداث، آخذ به كلّ مأخذ، ولا سيّما أنّه قد استفاد من الاجتهادات المبكّرة للطلبة الذين كانوا منذ أواخر سنوات الثمانين مشتغلين بـ"**الذكاء الاصطناعيّ**"، هذا الذي نظنّه اليوم ظاهرة طارئة على المعارف، حادثة فيها، فإذا شواهد النصوص تؤكد لنا أنّه وليد عقود خَلت، وسنوات مضت.

وإمعانا من جيرالد برنس في تأكيد هاتَيْن الفكرتَيْن: فكرة عراقة الأصول التي تعود إليها المباحث المهتمّة بدراسة السرد، من ناحية، وفكرة حداثتها وأخْذِها بجديد الأدوات والوسائل التقنيّة في عصره، من ناحية أخرى؛ نلفيه يُقِرُّ بأنّه قد استفاد في صياغة موادّ معجمه من «التقليد الأنجلوسكسونيّ [...] والتقليد الألمانيّ [...]، و[أعمال] الشكلانيّين، والسيميائيّين الروس، والبنيويّين الفرنسيّين...»[1] وغيرهم. وهو لا يُخفِي -في هذا السياق- نزوعه الشخصيّ إلى المدرسة الفرنسيّة، وذلك ما يُفهم من استدراكه حين يقول: «ومع ذلك، فإنّني قد مِلْتُ إلى ما قد يمثّل، ربّما، مُنجَزِ سرديّات السنوات العشرين الماضية الأكثر تأثيرًا: منجَزِ السرديّات "الفرنسيّة"، أو منجز "مستلهِمِي" دارسي السرديّات "الفرنسيّين"»[2].

والذي نستنتجه ممّا تقدّم -إلى حدود هذا المستوى في عملنا، سواء أتعلّق الأمر بالمصنفات العربيّة والمعرّبة أم بالمصنّف ذي الأصل الإنجليزي- أنّ أصحابها كانوا واعين بكونهم إزاء مبحث **متفرّق الأصول، متنوّع الخلفيّات، متعدّد الرو افد، متداخل العناصر**؛ مبحث من أهمّ ما ظلّ يميّزه على امتداد الطوْرَيْن الرئيسَيْن اللّذَيْن مرّ بهما أنّ هويّته المعرفيّة هي -في ذات الحين- هويّة **متّصلة ومنفصلة، متجذّرة ومتحوّلة، متعدّدة ومفردة**. وهذا ما يمثّل -في تقديرنا- **مبعث الإشكال الأصليّ**، بل **مصدر المفارقة الجوهريّة** فيه.

فبالرغم من اختلاف السياقات التاريخيّة وتباعدها فإنّنا نلاحظ أنّ صاحب المصنّف الأعجميّ (Prince، 1987)، وصاحِبَيْ المصنَّفَيْن العربيَّيْن (زيتوني، 2002؛ القاضي، 2010)، وصاحِبَيْ المصنَّفَيْن المعرَّبَيْن (إمام، 2003؛ خزندار، 2003)، قد اختاروا أن يقدّموا لقرّائهم المادّة التي رأوها جديرة بالتعريف والإذاعة في **شكل معاجم متخصّصة**. وهذا ما يفضي بنا إلى مسألة على غاية من الدقّة؛ يجدر بنا التوقّف عندها والتنبيه إليها.

فمن منظور إبستيمولوجيّ، ومن حيث المبدأ، يقتضي إصدار أيّ معجم متخصِّص أن يكون المجال المعرفيّ الذي يندرج ضمنه ذلك المعجم قد بلغ درجة من الانتظام الذاتيّ (Auto- / Self-organazation organisation) تدلُّ على تَعَيُّن مجاله، واتّضاح مفاهيمه ومصطلحاته، وبلوغها حدّا من النضج يتيح لها أن تمثّل قاسما مشتركا يُجمِع على استعماله الدارسون، أو هم -على أقلّ تقدير- يتقاربون في دلالات الاستعمال؛ هذا فضلا عن امتلاكهم رؤية منهجيّة مخصوصة، وأدوات تطبيقيّة وطرائق إجرائيّة محدّدة،

---

1- Gerald Prince, *A Dictionary of Narratology*, p. VII.

2- Ibid., p. VII.

تتيح للمبحث الذي يخوضون فيه أن يبلغ حالاً من الاستقرار يسمح له بأن يفكّر في أسسه ومنطلقاته، بل يمكّنه، أيضا، من إعادة النظر في تلك الأسس والمنطلقات، ومن مراجعتها متى دعت الضرورة؛ حتى يتسنّى له -من خلال ذلك كلّه- أن يطوّر المعرفة في نطاق المجال الذي عيّنه لنفسه، وفي مستوى صلة ذلك المجال بما جاوره، أو بما خرج عنه من مجالات.

ولكنّ هذه الشروط الإبستيمولوجيّة الأساسيّة التي يُفترَض أن تتوفّر، من حيث المبدأ، لم تكن -في تقديرنا- متاحة على النحو الكافي ولا بالقدر المطلوب، سواء أتعلّق الأمر بالسياق الغربيِّ الذي صاغ ضمنه برنس معجمه (1987)، أم بالسياقات العربيّة التي تُرجم فيها هذا المعجم (2003)؛ أم بالسياقَيْن اللَّذَيْن شهدا تأليف معجم لطيف زيتوني (2002) ومعجم محمّد القاضي وفريقه (2010). وهذا ما نجد في مقدّمات الأعمال ذاتها أكثر من دليل شاهد عليه، في ما نصطلح على تسميته بـ«**تنازع المجالات المعرفيّة**».

وإنّ مِن أَوَّلِ الشواهد على ذلك ما صرّح به جيرالد برنس في مقدّمة عمله حين قال: «لقد تغاضيتُ عن عدد كبير من المصطلحات التي لا شكّ في أنّ لها صلةً بالتحاليل السرديّة، ولكنّني أَعُدُّ من الأوفق أن تُدرج ضمن معاجم **البلاغة**، و**الدلائليّة**، و**اللّسانيّات** أو **الأدب** (مثل [مصطلحات]: *المبدأ التعاضديّ*، و*الاستعارة*، و*القصّة*، و*الحكاية الرومنسيّة*)»[1]. وجيرالد برنس، بهذا الاختيار المنهجيِّ الذي ارتضاه، إنّما يعمّق المفارقة حين يجمع بين أمرَيْن لا يخفى تعارضُهما: بين إقراره بأنّ الهويّة المعرفيّة لمباحث السرد تستمدّ مقوّماتها من حقول أخرى غيرها، من ناحية؛ وإقدامه على التنكّر لتلك المقوّمات من خلال اطّراحِه عديدَ المصطلحات، وتخلّيه عنها، وتركه لها ضمن مجال تداولها الأصليّ الذي ظهرت فيه أوّل مرّة، من ناحية أخرى.

وبالرغم من أنّ هذا الاختيار يكشف -في ظاهره على الأقلّ- عن تناقض صميم، فإنّ له -حسب تقديرنا- مبرّراته ودواعيه. ذلك أنّه قد أتاح لجيرالد برنس أن يحقّق الهدف الإبستيمولوجيّ الذي يسعى إليه: هدف تسريع عمليّة **فكّ الارتباط** بين مبحث السرد، من جهة، وبقيّة المباحث التي ظلّت تحتضنه وترعاه، من جهة أخرى. ومن خلال هذه العمليّة التي تتيح الانفصال وتُيَسِّرُه، يمكن للمبحث أن يستقلّ، وأن ينفرد بمفاهيمه ومصطلحاته، وأن يتجاوز الوضع الجنينيّ الذي صاحب طور نشأته الأُولى، فيبلغ -في أعقاب ذلك- طورَ

---

1- Gerald Prince, *A Dictionary of Narratology*, p. VII-VIII. [الترجمة من عندنا]

قارنها بترجمة عابد خزندار التي جاء فيها:

«فقد تغاضيت عن عدد كبير من المصطلحات التي لها -بدون شك- صلة بالتحليل السرديّ، ولكني أعتبرها تنتمي -بشكل أخصّ- إلى قواميس البلاغة والسيميوطيقا والألسنيّات أو الأدب (المبادئ المتضامة والتخييل والرواية والرومانس) جيرالد برنس، **المصطلح السردي**، المصدر نفسه، ص11.

وقارنها أيضا بترجمة سيد إمام التي جاء فيها:

«إنّني استبعدت عددا كبيراً من المصطلحات وثيقة الصلة دون شك- بالسرديات، لأنني أراها أكثر مناسبة لمعاجم البلاغة، أو السيميوطيقا، أو اللسانيات، أو الأدب بوجه عام» [هنا ينتهي الشاهد]، جيرالد برنس، ***قاموس السرديّات***، مصدر سابق، ص5.

والملاحظ، في هذا السياق، أنّ المترجم السيّد إمام لم يكن أمينا في ما عرّبه، فقد أسقط العبارة التي وردت في النصّ الأصليّ، واقعة بين قوسَيْن، والتي جاء فيها (e.g. cooperative principle, and allegory or novel and romance) ولم يحفل بها.

الوعيِ بذاته، وإدراكِ حدوده المعرفيّة، وتبيُّنِ طبيعة القضايا التي يتّخذها أهلُه موضوعا ينكبّون عليه، ومجالا يتخصّصون فيه.

وممّا يجدر التنبيه إليه والتوقّف عنده أنّ وضعيّةَ «**تنازع المجالات المعرفيّة**»، هذه التي عبّر عنها جيرالد برنس، مبكِّرا، في مقدّمة معجمه، ظلت حاضرة على نحو جليّ مع لطيف زيتوني، أَوَّلِ مَن صنّف مِن العرب معجما متخصّصا في هذا المجال؛ بل إنّها بدت لنا وضعيّة ذات **حضور إشكاليّ** لديه، بالرغم من المسافة الزمانيّة الواقعة بين تأليف الأثرَيْن، مسافة السنوات الخمس عشرة التي تفصل وضع جيرالد برنس معجمه (1987) وتصنيف لطيف زيتوني عمله (2002). وذلك ما يُستشفُّ من قول هذا الأخير في مقدّمة «معجم مصطلحات نقد الرواية»: «[لقد] كان فصلُ مصطلحات السرديّة عن مصطلحات العلوم المساعدة والفنون المتداخلة في السرد **خيارا يحتمل نسبةً من الخطأ والصواب**»[1].

والسبب في قولنا بوقوع الأمر مع لطيف زيتوني مثل هذا الموقع الدقيق الحرج أنّ المؤلّف كان واعيا بخطورة عمليّة «الانفصال» وبالآثار التي قد تترتّب عليها. فقد توجّس خيفةً من احتمال أن يفقد المبحث الذي دشّن التصنيفَ المعجميَّ العربيَّ فيه صفةَ "العِلْميّة"، وأن تُفضي محاولة الخروج به من الرحم التي ظلّت تحتضنه، رحم «اللّسانيّة وسيمياء الخطاب وعلوم الاتّصال، وسواها»[2]، إلى **حالة إجهاضٍ** لا يغنم منها المجال المُراد تأصيله شيئا. وفي مثل هذا الوضع، يضحي التوقُ إلى الاستقلالِ، والسّعيُ إلى التأسيسِ محاولةً محفوفةً باحتمالات الفشل، ربّما تُوقِعُ صاحبَها -مثلما توجّس- في الخطأ، من حيث أراد بلوغ الصواب.

ولئن بدا لطيف زيتوني حَذِرا في تقديره للآثار المترتّبة عمّا وسمناه بـ«**تنازع المجالات المعرفيّة**»، متوجّسا من النتائج السلبيّة لأيّة محاولة انفصال تسعى من خلالها مباحث السرد إلى الاستقلال بذاتها بعيدا عن الأصول الأُولى التي احتضنتها، فإنّ محمّد بريري، في «مقدّمة المُراجع» التي صدّر بها تعريب عابد خزندار معجمَ جيرالد برنس، كان أقلّ احترازا. والسبب في ذلك أنّه عالج المسألة في نطاق أضيق، وهو الذي عَدَّ مبحث السرد «ربيب البنيويّة» وحدها، ومجال بحث "مُلحقا" بها و"متفرّعا" عنها، دون غيرها من المجالات الأخرى كالبلاغة، والسيميائيّات، والتداوليّة، والأنتروبولوجيا، وعلم النفس، والتاريخ... فقد أضحت البنيويّة -وفق تقديره- حقيقة علميّة واقعة، ورؤية معرفيّة صلبة، وأداة منهجيّة ثابتة، لا شكّ في أنّها «أحدثت تغييرا لا سبيل إلى إلغائه أو النكوص عنه»[3]. وحتّى إن غدا التيّار البنيويّ اليومَ - في نظر الكثيرين- تيّارا تجاوزه الزمن و«نفض الغربيّون أيديهم منه»[4]، فإنّ «نقد البنيويّة لا يعني إبطالها أو إلغائها [كذا في الأصل! والأصوب: «إلغاءها»] بل يعني، غالبا، البناء عليها»[5].

---

1- لطيف زيتوني، **معجم مصطلحات نقد الرواية**، مصدر سابق، ص8.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3- جيرالد برنس، **المصطلح السردي**، مصدر سابق، مقدّمة المُراجع، ص5.

4- المصدر نفسه، ص6.

5- المصدر نفسه، ص7.

والذي نستنتجه من طرح محمد بريري هذا، أنّ انفصال مبحث السرد عن التيّار البنيويّ الذي احتضنه أوّلَ مرّة، لا يمكن أن يكون سبيلا إلى الاحتراز أو الجزع، بدعوى تقادم عهد البنيويّة وانصراف الباحثين عنها؛ ولا يمكن أن يكون، أيضا، مدخلا إلى الطعن في علميّة "ربيبها"، مبحث السرد، أو التشكيك فيه؛ والدليل على ذلك -في نظره- أنّه «ليس ثمة ما يمنع من أن يتغير هذا العلم [أي: البنيويّة] نتيجة ملاحظة بعض النقاد لظواهر سردية لم تكن موضع بحث؛ ممّا يستدعي تدقيق النظرية وتوسيع مجالها لتشمل أفقا جديدا يتجاوز الأفق السابق ويحتويه في آن واحد. [فـ]في مسيرة أي علم من العلوم ليس هنالك قطيعة بين الماضي والحاضر»[1]؛ ذلك أنّ «التفكير العلميّ -حسب رأيه- يقوم على النقد المستمر الذي يقدم فروضا جديدة تسمح بتفسير ظواهر لم تعد الفروض القديمة قادرة على الوفاء بتفسيرها. من هنا فإنّ **النظريّات كلها صحيحة بقدر ما إن النظريات كلها باطلة**»[2].

على هذا النحو، إذَنْ، انتهى محمّد بريري إلى نتيجة لا تختلف في جوهرها عن تلك التي خلص إليها لطيف زيتوني قَبْلَه. فكلاهما وقف من مسألة «**تنازع المجالات المعرفيّة**» والآثار التي قد تترتّب عليها موقفا هو أقرب إلى التسوية: تسوية احتمالات " **نسبة الخطأ والصواب**"، وتسوية " **صحّة النظريّات كلّها وبطلانها**"، وهذا ما يؤكّد أنّ أصحاب المعاجم المتخصّصة في مباحث السرد، سواء منها العربيّة أو المعرّبة، كانوا واعين تمام الوعي بأنّهم إزاء حقل ذي هويّة معرفيّة فريدة في بابها: حقل **طويل مخاضُه، لا يكاد يعرف ثباتا أو استقرارا**، بما أنّه **يقع في صميم التحوّل والمراجعة الدائبَيْن**. وليس الأمر بالسِّمة الطارئة عليه، أو العارضة فيه، بل إنّه **أقربُ إلى الصفات القارّة الملازمة**. وهذا ما بدا لطيف زيتوني على وعي مبكِّر به حين صرّح بأنّنا «لا نعرف اليومَ ما سيكون عليه شأن النظريّات السرديّة وشأن مصطلحاتها في المستقبل»[3]؛ وما أكّده محمّد القاضي بعد زهاء عشر سنوات حين أقرّ بأنّ «هذا الحقل، [يعني حقل مباحث السرد] ممتدّ الأطراف»[4]، أي أنّ الروافد التي يتغذى منها لا تقف عند حدّ، والإسهامات المختلفة التي يمكنه أن يشارك بها لا يُحصيها عَدّ.

وإذا كانت مباحث السرد -في أصل وضعها الإبستيمولوجيّ، وفي مستوى السياقات التي حفّت بمحاولات تحديد هويّتها المعرفيّة- على هذا القدر من **الصيرورة والتحوّل** اللّذَيْن لا يخلوان من مظاهر **التنازع والإشكال**، فإنّ عمليّة نقلها إلى لغة الضاد، تأليفا وترجمة، خلال الفترة الزمانيّة الممتدّة بين سنة 2002 وسنة 2010، قد رافقتها رهانات معرفيّة تعبّر عن الخصوصيّات التي ميّزت السياق العربيّ، وتكشف عن طبيعة مشاغله وقضاياه.

وذلك ما تُطالعنا به ظاهرة تكرّرت بشكل لافت في مدوّنتنا، وهي ظاهرة يتّضح لنا من خلالها أنّ أصحاب المعاجم، عربيّها والمُعرّب، وضعوا أعمالهم في خدمة قرّاء متعدّدي المشارب والخلفيّات. فقد أراد لطيف

---

1- جيرالد برنس، **المصطلح السردي**، مصدر سابق، مقدّمة المُراجع، ص8.
2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
3- لطيف زيتوني، **معجم مصطلحات نقد الرواية**، مصدر سابق، ص8.
4- محمّد القاضي وآخرون، **معجم السرديّات**، مصدر سابق، ص8.

زيتوني أن يكون معجمه -في ذات الحين- «أداة مفيدة للباحث والناقد والطالب وقارئ الرواية والمثقّف»[1]، ولِمَن وصَفهم، في نفس الموضع من المقدّمة، بـ«الدارسين والمثّقفين»[2]، وفي موطن آخر منها بـ«المتخصّصين وغير المتخصّصين»[3]. وكذا الشأن بالنسبة إلى محمّد بريري الذي رأى أنّ معجم جيرالد برنس الذي قام بمراجعته وتقديمه هو معجم «لا يستغني عنه العاملون في مجال الأدب عموما، وفي حقل السرد خصوصا»[4]. ولا يختلف الأمر كبير اختلاف مع محمد القاضي ومَن شاركوه «معجم السرديّات»، فقد وضعوا عملهم يحدوهم طموحٌ في أن يكون مرجعا متداوَلا «بين أيدي الباحثين والطلاّب والمثقّفين العرب عامّة»[5].

ومن الواضح، استنادًا إلى ما تقدّم، أنّ أفق التقبّل الذي رَسَمَ حدودَه أصحابُ المصنّفات المختلفة، عربيّها والمعرّب، كان أفقا ذا طيف واسع، لم يَرَ المؤلّفون أيّ حرجٍ في أن يضمّ -جنبا إلى جنب- المتخصّصين وغير المتخصّصين؛ وأن يشمل قرّاء النصوص الأدبيّة، عامّةً، والمولعين بالنصوص السرديّة، على وجه التحديد؛ وأن يَجمع القرّاءَ العاديّين، والباحثين من أصحاب الدرجات الجامعيّة المختلفة، طلاّبَ عِلْمٍ، ومُنتجي معرفة.

والحقيقة أنّ التوجّه إلى جمهور على هذه الدرجة من التنوّع والاختلاف ليس بالأمر الذي نُنكره أو نعيبه، في ذاته؛ فالمعارف -من حيث المبدأ- يمكن أن تكون مبذولة أمام سائر المتقبّلين، وأن يشترك الجميعُ في قطف ثمارها والنهل منها. ولكنّ مدار الإشكال يكمن **في مدى التناسب بين اختيار أصحابِ المصنّفات العربيّة والمُعرّبة التأليفَ المعجميَّ شكلاً من أشكال إذاعة المباحث السرديّة الجديدة الطارئة التي لا تعرف الاستقرار**، من ناحية؛ **ووضعهم لها بين أيدي جمهورٍ هو أخلاطٌ من المتقبّلين ذوي المشارب التي لا حصر لها**، من ناحية أخرى.

وممّا تجدر ملاحظته في هذا المقام، أنّ لطيف زيتوني (وهو -للتذكير- أوّل العرب سَبْقا إلى وضع قاموس خاصّ بالسرد وقضاياه) لم يُخْفِ حرَجَه الناجمَ عن اختياره التصنيفَ المعجميَّ شكلا من أشكال التعريف بالمبحث، ورغبتَه في أن يَخرج أثَرُه من حدود الصناعة المعجميّة "الضيّقة" إلى رحابة التأليف. وذلك ما يُفهم من إشارته إلى أنّ عمله «يتميّز [...] بقابليّته للقراءة ***ككتاب*** في السرديّة إلى جانب كونه **معجما** لمصطلحاتها»[6].

والحقيقة أنّ لطيف زيتوني -من خلال هذه الإشارة- إنّما يثير قضيّة لطالما أرّقت مصنّفي المعاجم المتخصّصة، ولسنا نرى نظيرا لها لدى مصنّفي المعاجم اللّغويّة العامّة.

---

1- لطيف زيتوني، **معجم مصطلحات نقد الرواية**، مصدر سابق، ص8.
2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
3- المصدر نفسه، ص9.
4- جيرالد برنس، **المصطلح السردي**، مصدر سابق، مقدّمة المُراجع، ص9.
5- محمّد القاضي وآخرون، **معجم السرديّات**، مصدر سابق، **ص6**.
6- لطيف زيتوني، **معجم مصطلحات نقد الرواية**، ص9.

ولتوضيح هذه الفكرة، يجدر بنا أن نُذكِّر بأنّ من يتصدّى لتصنيف معجم، أيّ معجمٍ -سواء أكان معجما لغويّا أم معجما متخصّصا- لا بدّ له أن يخضع لمنطق تسلسل الحروف (أيّا يكن شكل التسلسل، ألفبائيّا، أو أبجديّا، أو صوتيّا مَخْرَجِيّا... أو غير ذلك)، وأن يُرتّب مداخلَ معجمِه وموادَّه وفق ذلك المنطق. ولكنّ الضوابط أو "الإكراهات" التي يفرضها عليه التسلسلُ لا تتطابق -في حال المعاجم المتخصّصة، تحديدا- مع ما تقتضيه أوضاعُ المفاهيمِ والمصطلحاتِ صُلْبَ الأنساق النظريّة للمباحث والعلوم التي تنشأ المعارف في نطاقها. ومن أبسط الأمثلة[1] التي يمكن أن نقدّمها في هذا السياق مثال الزوج الاصطلاحي الفرنسي «Monologue /Dialogue»، فهذان المصطلحان اللّذان يتعالقان نظريّا ومفهوميًّا، واللّذان لا يمكن أن نفهم دلالة أحدهما إلاّ من خلال وصله بالثاني، يَرِدان -كَرْهًا- منفصلَيْن في المعجم المتخصّص: أوّلهما ضمن موادّ الحرف (D)، والثاني ضمن موادّ الحرف (M). وقِسْ عليه أمثلة أخرى من قبيل الزوج «Récit»/«Discours»، أو الثلاثي المفهوميّ «Narration»/ «Description»/ «Dialogue»، وغيرها كثير.

وسعيا من مصنّفي القواميس المتخصّصة إلى تجاوز هذه الوضعيّة التي تفرضها عليهم ضوابط الصناعة المعجميّة و"إكراهاتها"، فإنّهم غالبا ما يعمدون إلى ضروب شتى من الإحالات المرجعيّة الداخليّة، على نحوٍ يتيح لموادّ المعجم الموزّعة على حروفه، أن تجد، في ما بينها، شيئا من الوحدة الغرضيّة والالتئام النسقيّ. وهذا ما برز لنا بشكل جليّ مع لطيف زيتوني الذي نبّه إلى أنّ «الإحالات التي تربط بين المصطلحات [في معجمه] تهدف إلى الجمع بين المفاهيم، ومقاومة تشتّت عناصرها، وتسهيل الإحاطة بها كوحدة غير مفكّكة»[2]؛ وكذا الشأن بالنسبة إلى محمّد القاضي وجماعته، فقد أرادوا أن يَخرجوا بعملهم من الحدود المعجميّة "الضيّقة" وأن يقتربوا به من رحابة التأليف، فلم يكتَفوا بجعله موطنا لـ«إيراد المصطلحات ومقابِلاتها الأعجميّة»[3]، وإنّما سلكوا به مسلك الشمول وحاولوا الإحاطة بمباحث السرد، واستيفاء القول في مقولاتها ذات المرجعيّات والأصول المختلفة. وهذا ما يفهم من إلحاحهم -مثلما يقول محمّد القاضي- على أنّ معجمهم «إنّما هو معجم **موسوعيّ** بنيناه على مداخل يجمع كلٌّ منها بين **الاستقلال والترابط مع غيره** [...] وآية ذلك ما تجده في متنه من **إحالات إلى مصطلحات أخرى موجودة في المعجم** في صورة مداخل يحتاج إليها القارئ لفهم المدخل الذي هو بصدد قراءته. واصطلحنا على ذلك بنجمة (*) يستطيع القارئ أن يهتدي بها لتدقيق جوانب المصطلح. وختمنا كل مدخل بالموادّ ذات الصلة وأوردنا فيها مصطلحات أخرى لها بالمصطلح المَعْنِيّ قَرابةٌ ويستطيع القارئ أن يعثر فيها على معلومات تزيد معارفه وتوسّع آفاقه»[4].

وبالرغم من نزوع محمّد القاضي وفريقه إلى استثمار ما تتيحه الصناعة المعجميّة من وسائل تُضفي على عملهم صفة **الموسوعيّة والاستقصاء والشمول**؛ فإنّنا نلاحظ -في المقابل- أنّهم يَنْعَوْنَ على السياق العربيّ

---

1- اكتفينا في هذا المقام بتقديم أمثلة مأخوذة من اللّسان الفرنسيّ، وذلك حرصا منّا على وضوح الفكرة التي نقدّمها. ولكنّ الظاهرة التي نشير إليها تنسحب على سائر اللّغات.

2- لطيف زيتوني، **معجم مصطلحات نقد الرواية**، ص9.

3- محمّد القاضي وآخرون، **معجم السرديّات**، مصدر سابق، **ص10**.

4- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الذي ظهر فيه عملهم تكاثر «الدراسات السرديّة تكاثرا زاد من وتيرته أن استسهلها أغلب المقبلين عليها»[1]، بل إنّهم -في موطن آخر من مقدّمة معجمهم- يَسِمون التكاثرَ الذي ميّز هذا السياق بـ «الفَـوْرَةِ»[2]؛ وهي -في نظرهم- «فَـوْرَةٌ» ذات وجهَيْن متقابلَيْن: وجه **إيجابيّ**، بما أنّها قد أسهمت «في تنزيل السرديّات منزلة رفيعة في المجال الثقافي العربي»[3]، ووجه آخر **سلبيّ**، بما أنّها قد «جَنَتْ على هذا الاختصاص [...] جناية يُخشى أن تكون قد أصابته في مقتل»[4]. وهم يُعلّلون هذا الوضع القائم على الازدواج، إيجابًا وسلبًا، بتنبّههم إلى أنّ «صعود نجم السرديّات أغرى عددا كبيراً من الباحثين العرب بخوض غمارها، فاختلط الحابل بالنابل [...] وكَثُـرَ حاطبو الليل ونَـدُرَ مَن يمكن أن يُعتبر قدوة في الميدان يُعتدّ به ويُحتجّ بأقواله»[5].

وإنّ في هذا المنطلق الذي أسّس عليه محمّد القاضي وفريقُه جهودَهم ما يؤكّد أثر السياق في صياغة المعرفة وتوجيهها. فأصحاب «معجم السرديّات» -وهم، تاريخيًّا، وفي حدود علمنا، آخر مَن وضع قاموسا عربيّا متخصّصا في السرد ومباحثه (2010)- إنّما أرادوا لعملهم أن يكون أداة يتصدَّوْن بها لذلك السَيل الغامر من الدراسات العربيّة والمعرَّبة التي صارت عائقا يحول دون صياغة معرفة دقيقة ثابتةِ الأركانِ، والحال أنّ مؤلّفي هذه الدراسات قد وضعوها -في الأصل- لكي تكون وسيلة للتعريف بمبحث السرد، ولتوضيح جليل نظريّاته ودقيق تطبيقاته؛ ولكنّ السُّبُلَ قد تفرّقت بهم حتّى «غامت المفاهيم وافتقرت إلى صفتي الجمع والمنع»[6]. وذلك ما انعكس سلبًا على الجُهد المعجميِّ العربيِّ، **فبدلاً من أن يكون جهدا ذاتيًّا، رشيدًا، متّزنا، يُتـوِّج تراكما في مسارات مباحث السرد ويُكلِّلُ إسهامات المتخصّصين العرب فيه**؛ أضحى نَشْرُ المعاجم المتخصّصة عملا يسعى أصحابه من ورائه إلى **تدارك ما أصاب المصطلحات من فوضى، وإلى محاولة التقريب بينها، وإلى تلافي ما يمكن تلافيه من تشتّتها** الذي بلغ بها أحيانا حدّ الإلباس، بل حدّ **الانغلاق والإلغاز**.

وإذا أضفنا إلى هذا كلّه حِرْصَ البعض على الاستفادة من رصيد المصطلحات الموروثة من المدوّنة النقديّة العربيّة القديمة، وسعيَهم إلى إحيائها وإعادة توظيفها، تبيّن لنا أنّ السياقات التي أثّرت في صياغة المعارف المعجميّة العربيّة المتعلّقة بالسرد وقضاياه ليست سياقات مُحدَثَة، فحسبُ؛ بل إنّ القديم ما زال ذا حضور لافت فيها، وذا تأثير ملموس، فاعل، قادر على تشكيل المعارف وتوجيهها.

والذي نخلص إليه، في خاتمة هذا القسم الأوّل من بحثنا، أنّ المنطلقات النظريّة الكبرى التي نهضت عليها نصوص مدوّنتنا، عربيّها والمُعرَّبَ، والسياقات التي اكتنفت تلك النصوص، تُظهر وعيَ أصحابها بأنّ مبحث السرد هو -في أصل وضعه الإبستيمولوجيّ- مبحث ذو هويّة معرفيّة مركّبة، تداخلت مقوّماتها،

1- محمّد القاضي وآخرون، **معجم السرديّات**، مصدر سابق، **ص5**.

2- المصدر نفسه، ص10.

3- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

4- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

5- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

6- المصدر نفسه، ص6.

وتشابكت جذورها مع هويّات غيره من المباحث، إلى درجة ربّما بلغت به -في أحيان كثيرة- حدّ الالتباس. ولكنّه، أثناء سعيه إلى الاستقلال بذاته وإثبات وجوده وتأكيد إسهامه بدا على درجة فائقة من الحيويّة المعرفيّة. فقد استطاع أن يأخذ بالسابق الذي انحدر منه، وأن يستوعبه، وأن يتشرّبه؛ ليختطّ لنفسه سُبُلاً ما فتئت تتّسع، لا لكي تقطع مع ذلك السابق قطعًا كليّا؛ بل لترفده وتؤكّد ما في التفاعل معه من إثراء متبادل. وبقدر ما كانت هذه الحيويّة المعرفيّة سمةً تأكّدت لنا من خلالها قدرةُ المبحث على التخلّق والتوسّع والتطوّر، فإنّها أفرزت -في السياقات العربيّة على وجه التخصيص- ما يمكن أن نَعُدَّهُ موطن **الهشاشة** الأكثر حساسيّة ودقّة؛ ونقصد بذلك **المسألة الاصطلاحيّة** التي مثّلت مدار إشكال مركزيّ، ومجالا يختزل القضايا الجوهريّة التي يطرحها المبحث، وبؤرة تتجلّى في نطاقها الصعوبات التي يمكن أن يثيرها، نظريّا وتطبيقيّا.

فما هي أبرز مظاهر وعي المصنّفين بالمسألة الاصطلاحيّة؟ وكيف كانت معالجتهم لها؟ وما حدود الجدوى في تلك المعالجة؟

## 3- القسم الثاني: معضلة المصطلح:

تكشف لنا المعاجم العربيّة والمعرّبة التي تشكّل مادّة مدوّنتنا عن تفاوت واضح في صِيَغ إفصاح أصحابها عن مدى وعيهم بالمسألة الاصطلاحيّة، وعن حدود إدراكهم لدقّة قضاياها، وما يمكن أن يترتّب عليها من نتائج، وما قد يتمخّض عنها من أبعاد، إيجابا أو سلبا.

ومن خلال نظرنا في المدوّنة، يتّضح لنا أنّ السيّد إمام (إمام، 2003) مُعرِّب معجم جيرالد برنس (*Dictionary of Narratology*) كان أكثر أصحاب المصنّفات إيغالا في الصمت[1]. فقد وَضَعَ بين أيدي قرّائه العملَ الذي عرّبه، من دون أن يلتزم بالواجبات المحمولة على أيّ مترجِم؛ كالتصريح بالدوافع التي دَعَتْه إلى نقل العمل الأصليّ من اللغة-المصدر إلى اللغة-الهدف، أو توضيح الإضافة التي يمكن أن يقدّمها الأثرُ المُعرَّب إلى قرّاء لغة الضاد، أو غير ذلك ممّا تقتضيه نواميس الترجمة وأعرافها.

ولا يكاد عابد خزندار مُعرِّب المعجم نفسه (خزندار، 2003) يختلف كبير اختلاف عن سابقه. فقد التزم الصمتَ، هو أيضا، وفوّض لمُراجع الترجمة، محمّد بريري، الحديثَ بدلاً منه. وهذا ما يبدو -في نظرنا- أمرا باعثا على الاستغراب، داعيا إلى الأسف. فكم كنّا نودّ أن نجد إلى جانب «مقدّمة المُراجع» مقدّمةً أخرى بقلم المترجم الذي يُفترَض أنّه هو من كابد صعوبات النصّ الأصليّ في اللغة-المصدر، وأنّه هو الذي تصدّى لها، واستنبط الحلول لتجاوزها في اللّغة-الهدف، ولا سيّما على صعيد المصطلحات وما يتّصل بها من جليل الدلالات ودقيق المفاهيم. ولكنّ المترجم عابد خزندار آثر أن يتخفّى وراء المُراجع محمّد بريري؛ وهذا ما ضيّع على الباحثين -في موقع مثل الموقع الذي نحن فيه- فُرَص فَهْمِ الخلفيّات التي حرّكت الترجمة، وفوّت

---

1- ممّا تجدر ملاحظته أنّ ظاهرة الاكتفاء بالتعريب، من دون أن يُكلّف صاحبُها نفسَه عناء وضع مقدّمة لما أنجز، ظاهرة متواترة في الثقافة العربيّة. وقد وقع فيها عابد خزندار ومحمّد بريري في عملٍ آخر اشتركا فيه؛ ونقصد بذلك ترجمتها لمعجم الكاتبَيْن Bronwen MARTIN وFelizitas RINGHAM الذي يحمل عنوان: *Dictionary of Semiotics*.
انظر، برونوين ماتن وفلزيتاس رينجهام، *معجم مصطلحات السميوطيقا* (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2008).

عليهم، وعلينا، إمكانيّة تَبَيُّنِ طبيعة القضايا التي طرحها التعاملُ مع النصّ، عموما، ومع المصطلحات الواردة فيه، على وجه الخصوص، ولا سيّما عند انتقال هذه وذاك من الإنجليزيّة إلى العربيّة.

ولكنّ الأمرَ الذي يتجاوز بنا حدود الاستغراب، ويتخطّى درجة الأسف أن نرى مترجِمَيْن عربيَّيْنِ يتصدّيان إلى ترجمة الأثر نفسه، (معجم جيرالد برنس)، بل ويُصدِرانه في ذات السنة (2003)، وفي نفس مكان النشر (القاهرة). ففي هذا كلّه ما يدلُّ دلالة قطعيّة واضحة على هدر الجهود هدرا ناتجا عن غياب التنسيق بين المساهمين في نقل المعارف من اللغات الأجنبيّة إلى لغة الضاد؛ وفيه أيضا ما يعمّق أزمة المصطلحات، بل يكرّسها.

وتتأكّد لدينا هذه الظاهرة التي لا يخفى تواترها في الثقافة العربيّة الحديثة والمعاصرة[1] من خلال مثال نرى من الضروريّ التوقّف عنده ودراسة القضايا التي يطرحها. ونقصد بذلك **المصطلحَ الإنجليزيَّ الأمَّ**، مصطلح (Narratology). وقد ارتضينا أن نركّز عليه لأنّه يمثّل -قَبْلَ غيره من المصطلحات- مدار هويّة المبحث المعرفيّة؛ ولأنّه يُعَدُّ -من دونها جميعا- عماد التأصيل الإبستيمولوجيّ وجوهره.

لقد سبق أن أشرنا في موضعٍ تَقَدَّم[2] إلى أنّ عابد خزندار مُعرِّب معجم جيرالد برنس، ومحمّد بريري مُراجع الترجمة وواضع مقدّمتها، لم يتقيّدا بعنوان الأثر الأصليّ، ولم يؤدّيا معناه أداء وفيّا، لا في غلاف الكتاب، حيث أوردا عبارة (المصطلح السرديّ)، ولا في صفحته الداخليّة حيث أضافا عبارة (معجم مصطلحات)، وأنّ بريري اكتفى باستدراك الأمر في موطن من مواطن مقدّمته حين نبّه إلى أنّ «عنوان هذا السِّفْر في لغته الأصليّة هو *Dictionary of Narratology* [كذا في الأصل! والأصوب *A Dictionary of Narratology*] "معجم في علم السرد"»[3].

وبقدر ما كان عابد خزندار، في ترجمته، متحلِّلا تماما من واجب الوفاء للصيغة الأصليّة التي ورد عليها عنوان معجم جيرالد برنس، كان السيّد إمام أكثر منه أمانة ودقّة، بل إنّه بدا أكثر قدرة على الاستشراف؛ ذلك أنّه اقترح على قرّاء لغة الضاد، في غلاف العمل الذي عرّبه، مصطلح (**السرديّات**) مقابلا للمصطلح الإنجليزيّ (Narratology). ومن المعلوم أنّ جُلّ المتخصّصين العرب في المجال صاروا يستعملون المصطلحَ الأخيرَ، مصطلحَ (**السرديّات**)، أكثر من استعمالهم غيرَه من المصطلحات الأخرى. وهذا ما يُحْسَبُ للسيّد إمام؛ ولكن، إلى حين.

---

1- حول تواتر الظاهرة انظر،
عز الدين المجدوب، *ثلاث ترجمات لكتاب فردينان دي سوسير*، حوليّات الجامعة التونسيّة، عدد 26، سنة 1987، صص43-61.
عز الدين المجدوب، *حول ترجمة رابعة لكتاب فردينان دي سوسير*، حوليّات الجامعة التونسية، عدد 31، سنة 1990، صص151-161.

2- راجع هامش (5) من بحثنا هذا.

3- جيرالد برنس، **المصطلح السردي**، مصدر سابق، مقدّمة المُراجع، ص8. وممّا تجدر ملاحظته أنّ محمّد بريري في استدراكه هذا لم يكن دقيقا الدقّة كلّها. فالعنوان الأصليّ لكتاب برنس ليس (*Dictionary of Narratology*) مثلما ذكر، بل تحديدا (A Dictionary of Narratology)، بإضافة الحرف ($A$) في الطالع. ولا يخفى على مُتقني اللغة الإنجليزية، والعارفين بدقائقها ما دور هذا الحرف في توجيه الدلالات.

والسبب في استدراكنا الحُكم، وتنسيبِنا إيّاه، وتعليقِنا القولَ بما لهذا المترجِم من فضل الأمانة في التعريب، ومن مزيّة السَّبْق إلى ما سيستقرّ عليه المصطلح، أنّ صاحبه قد أَعْرَض في متن ترجمته عمّا كان قد بشّر به في غلافها.

فبالعودة إلى مدخل (Narratology) في ترجمته، نلفيه يقترح -إلى جانب مصطلح (**السرديّات**) الذي أثبته في صفحة الغلاف- مصطلحَيْن آخرَيْن رأى أنّهما يؤدّيان المعنى نفسه: مصطلحَ (**نظريّة السرد**) ومصطلحَ (**علم السرد**)[1]. وربّما التمسنا للمترجم الأعذار، وهو الذي وضع العبارتَيْن الأخيرتَيْن (**نظريّة السرد/ علم السرد**) بين قوسَيْن، وفصلهما بخطّ مائل (/) على سبيل الترادف والاستبدال. ولكنّ هذا النهج الذي سار عليه، نهجَ تقديمِ أكثر من مقترح لترجمة المصطلح الواحد، قد أفضى بعمله إلى التشتّت وقاده إلى التعدّد الذي لا ترتضيه المصطلحات؛ هذا فضلاً عن مجانبته الصواب، في قسم منه على الأقلّ؛ لأنّ عبارة (**نظريّة السرد**) التي اقترحها مقابلاً لـ(Narratology) تغافلت عن جوانب مهمّة في المباحث السرديّة، ونقصد بذلك الجوانب التطبيقيّة والإجرائيّة. فالسرديّات عبر تاريخها، وفي سائر مدارسها وتيّاراتها، لم تكن أبدا مباحث نظريّة خالصة حتّى نقترح عبارة (**نظريّة السرد**) مقابلا لها، ولكنّ النظريّات فيها كانت -دوما- وثيقة الصلة بالتطبيق والإجراء، بل ثمرة من ثمارهما.

وفي المقابل -وهذا ما يُمكن أن نَعُدَّهُ من باب المفارقات- فإنّ عابد خزندار الذي "عـوّم" العنوان ولم يُؤدِّ دلالاته الدقيقة مخيّرا الحديث عن (**المصطلح السرديّ**)، من دون أن يَرُدَّهُ مُراجع الترجمة عن صنيعه؛ بدا في متن النصّ الذي عرّبه أكثر انضباطا من السيّد إمام في تعامله مع المصطلح، وأكثر وفاء لمتن المعجم مثلما ورد في اللغة-المصدر.

فبالعودة إلى ترجمة عابد خزندار وتحديدا إلى ما جاء ضمن مادّة (Narratology)، نلفيه يضع مصطلحًا عربيّا واحدا، لا غير، مصطلح (**علم السرد**)[2]، لا يزاحمه مصطلحٌ آخرُ سواه، ولا ينازعه رتبتَه لفظٌ آخرُ غيره.

فهل ثمّة، حقّا، أعمق من هذه المفارقة وأعظم وقعًا منها: أن يهتدي المترجم السيّد إمام، منذ عَتَبَة النصّ الأُولى، عَتَبَةِ العنوان، إلى المصطلح المركزيّ الذي عليه مدارُ هويّة المبحث وعمادُ تأصيله الإبستيمولوجيّ، فيؤدّي دلالته في اللغة-الهدف أداء أمينا، يكشف عن تبصُّر يُحْمَدُ، وعن استشراف يُشْكَرُ؛ ثمّ لا يلبث هذا المترجمُ نفسُه أن يَعْدِلَ عمّا اهتدى إليه، فيكون أَوَّلَ من يتنكّر للمصطلح لحظة تعريبه المدخلَ المفصّلَ المتعلّقَ به؟

وفي المقابل، فإنّ المترجم عابد خزندار، هذا الذي تراخى عن أداء المعاني الدقيقة الواردة في عنوان الأثر الأصليّ، وتصرّف فيها بغير وجه حقٍّ، من دون أن يكون لتصرّفه ذاك مبرّر يستدعيه الأسلوب أو تقتضيه الدلالة، يبدو أكثر إحكاما في استنباط المصطلح وأعمق التزاما بإجراء لفظه على وجهٍ واحدٍ، لم يَحِدْ عنه.

---

1- جيرالد برنس، **قاموس السرديّات** مصدر سابق، ص133.

2- المصدر نفسه، ص157.

وحاصل الأمر، انطلاقًا ممّا تقدّم عرضه وبيانه، أنّ قرّاء لغة الضاد الذين يمكن أن تقع بين أيديهم ترجمتا معجم جيرالد برنس، ترجمةُ السيّد إمام وترجمةُ عابد خزندار، يجدون في مقابل المصطلح الإنجليزيّ الواحد، مصطلح (Narratology)، ثلاثةَ مصطلحات معرَّبة: مصطلحَ «***السرديات***»، ومصطلحَ «***نظرية السرد***»، ومصطلحَ «***علم السرد***». وهذا ما يُفضي بهم إلى حال من التعدّد الذي لا يخفى، والتشتت الذي لا يُقبل.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ مصطلح (Narratology) ليس من المصطلحات الجزئيّة أو التفريعيّة؛ بل هو **المصطلح الأمّ** الذي يتأسّس عليه المبحث كلّه، والذي تُخْتَزَل فيه هويّته المعرفيّة؛ أدركنا أبعاد المسألة في سياقها العربيّ وخطورة النتائج التي يمكن أن تترتّب عليها. فحالُ التعدّدِ والتشتّتِ التي رافقت المصطلح لحظةَ تعريبه والانتقالِ به من لغته الأصليّة إلى لغة الضاد لا تُيَسِّر إضفاءَ طابع الاستقرار عليه، ولا تخدم عمليّةَ تأصيله في البيئة التي أريد له أن يَيْنَع فيها، وأن يُثمِرَ ضمن مجالها، وأن تنتشر مفاهيمه وأدواته التطبيقيّة والإجرائيّة عبر أعمالها ودراساتها.

وقد حاول محمّد بريري، مُراجع ترجمة عابد خزندار أن يلتمس الأعذار لهذه الوضعيّة الإبستيمولوجيّة القلقة التي صاحبت نَقْلَ المصطلحات من سياقها الأجنبيّ إلى سياق لغة الضاد؛ وذلك من خلال اعتماده صيغة ذكيّة اعترف فيها -بدايةً- بأنّ الترجمة العربيّة كانت متأخّرة «بحوالي خمسة عشر عاما [...] بعد صدور أصلها الإنجليزيّ»[1]. وفي أعقاب هذا الاعتراف الذي لا خلاف فيه، بحكم كونه أمرا ثابتا تاريخيّا، صدع بموقف مفادُه أنّ الترجمة «لم يكن لها أن تظهر قبل ذلك بكثير، لأنّها حينذاك ستصبح مستغلقة الفهم على معظم القرّاء[2].

وإذا تأمّلنا المنطق الذي سار عليه محمّد بريري ألفينا أن الغاية منه تجنّب الملامة، ورَفْع العَتَبِ، ومحاولة تبرير تأخّر المترجمين العرب في نقلهم معجمَ جيرالد برنس(1987) إلى لغة الضاد (2003) بإلقاء المسؤوليّة فيه على جمهور القرّاء والمتقبِّلين، هذا الجمهور الذي كان -حسب رأيه- غير مُهيَّئٍ لفهم ما يُنقل إليه من معارف ومفاهيم تتعلّق بالسّرد وظواهره وقضاياه، قَبْلَ حلول الألفيّة الثالثة.

وسواءٌ أكان محمّد بريري مُحقًّا في ما ذهب إليه، أم مُغاليًا في تقديره، مبالغا في تبريره؛ فالثابت لدينا أنّ العوائق والصعوبات المتعلّقة بنقل المصطلحات من سياق لسانيّ إلى آخر، ومن ثقافة إلى غيرها، ومن مقام معرفيّ إلى مقام سواه، تظلّ من قبيل العوائق والصعوبات العارضة، مقارنة بالمعضلة الرئيسة التي لازمت المبحث، ونقصد بذلك معضلةَ انفتاحه على المباحث الأخرى، أخذا وعطاء، ومعضلةَ تخلّقه المستمرّ، تأصيلا وتجديدا، ووقوعه موقع الاتصال والانفصال، والتجذّر والتحوّل. ففي هذا كلِّه ما يؤكّد لنا أنّ إشكاليّة المصطلح، في مباحث السرد على وجه الخصوص، هي **إشكاليّة مضاعفة**، بل لعلّها أكثر حدَّة مقارنة بما عليه الأمر في مباحث نقديّة أخرى غيرها.

1- جيرالد برنس، **المصطلح السردي**، مصدر سابق، مقدّمة المُراجع، ص9.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ولكن، كيف تعامل المصنّفون العرب من غير المترجمين مع المسألة؟ وكيف واجه كلٌّ من لطيف زيتوني في «*معجم مصطلحات نقد الرواية*» (زيتوني، 2002) ومحمّد القاضي وفريقه في «**معجم السرديّات**» (القاضي، 2010) القضيّة الاصطلاحيّة؟ وما حدود وعيهم بها؟ وكيف كانت معالجتهم لها؟

إنّ الإجابة عن هذه الأسئلة تقتضي منّا التذكير، مجدّدا، بأنّ لطيف زيتوني كان السبّاق إلى وضع أوّل معجم في لغة الضاد مخصّص لمباحث السرد وقضاياه، وأنّ الجميع -معرّبين ومؤلّفين- كانوا لاحقين عليه، سواء في ذلك المترجِمان السيّد إمام وعابد خزندار؛ أو محمّد القاضي وجماعته. فليس غريبا، بمنطق السَّبْق التاريخيّ، أن يكون وعيُ لطيف زيتوني بالمسألة أكثر وضوحا، وهو الذي تصدّى في حقل التأليف المعجميّ لما لم يتصدَّ إليه غيرُه. وذلك ما يُفهم من تقديمه لمعجمه، ومن وصفه إيّاه بـ«أنه معجم ***رائد***. وريادتُه -مثلما يقول- تعني أنه **غير مسبوقٍ** في مجاله»[1]، وأنّه يمثّل مُصنّفا جامعا «لمصطلحات السّردية باللغة العربية»[2]، أراد له صاحبُه أن يكون «معجما محصورا ومُوَسّعا في آن واحد. فهو محصور في ألفاظ السرديّة، ولكنه يتوسّع فيها أفقيّا وعموديّا، فيجمعها ويشرحها بالشموليّة الممكنة»[3].

غير أنّ وعي لطيف زيتوني بأسبقيّته في مجال التصنيف المعجميّ، وبريادته فيه **لا** يعني -بالضرورة- **أنّه هو صاحبُ المفاهيمِ والمصطلحاتِ، وأنّه هو الذي اهتدى إليها، أو ابتدعها وصاغها، ثمّ وضعها بين أيدي قرّائه العرب**. والدليل على ما نذهب إليه أنّه يُقرُّ صراحةً بأنّ المعجم الذي يحمل اسمه، لا يمكن أن يُنسبَ إليه خالصا، على سبيل الحصر والاستغراق، بل إنّ **المعجم، في الحقيقة، هو ثمرةُ ما أنجزه غيره**؛ ليس له فيه من دورٍ سوى دور **الوساطة والنقل والصياغة باللّسان العربيّ**؛ وهذا ما يُسْتَشَفُّ من قوله: «يتميّز هذا المعجم بأنّه **كتاب جماعيّ**. فهو **يعرض خلاصة أعمال الباحثين ونظريّاتهم المختلفة**»[4].

ولمّا كان الأمر مع لطيف زيتوني على هذه الصورة، لحظةَ وَضْعِه معجمَه سنة 2002؛ كانت القضايا والإشكالات التي تصدّى لها قريبة -في جوهرها- من تلك التي كان المعرّبان السيّد إمام وعابد خزندار بصدد معالجتها خلال الفترة الزمانيّة ذاتها، وأثناء انشغالهما بترجمتَيْهما لمعجم جيرالد برنس، هاتَيْن الترجمتَيْن اللّتَيْن ظهرتا في السنة التالية، سنة 2003. فليس بين الحالة الأُولى والحالتَيْن الأخيرتَيْن من فروقٍ تُذكر سوى أنّ المعرِّبَيْن السيّد إمام وعابد خزندار كان مُجْبَرَيْن على التقيّد بمتن النصّ الذي ينقلانه من الإنجليزيّة إلى العربيّة؛ أمّا لطيف زيتوني، فإنّه كان أكثر "تحرّرا" منهما، لأنّه ليس إزاء مصدر تقتضي شروط الترجمة ونواميسها أن يلتزم بما جاء في أصله وألاّ يخرج عنه.

وانطلاقا ممّا تقدّم بيانُه، يمكننا القول إنّ "حريّة التأليف" التي أتيحت للطيف زيتوني ليست حريّة مطلقة؛ لأنّ طبيعة الصناعة المعجميّة كانت تمنعه من الإسهاب، وتحمله على أداء المصطلحات التي تصدّى لتعريفها بصورة مختزلة موجزة دقيقة، قدر الإمكان. وقد كان لطيف زيتوني على وعي بطبيعة عمله،

---

1- لطيف زيتوني، **معجم مصطلحات نقد الرواية**، مصدر سابق، ص7.

2- المصدر نفسه، ص8.

3- المصدر نفسه، ص7.

4- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وبحدوده، وبصعوباته، وبالمنزلة التي تندرج ضمنها جهوده؛ وهذا ما يُفهم من قوله: «فإذا كان وَضْعُ معجم متخصّص في اللغات العالمية يتطلّب جمعَ المعلومات اللازمة له، فإنّه في اللغات الأخرى، كالعربية، يتطلّب جهدا إضافيّا يتمثّل في **صَوْغ هذه المعلومات في لغة غير لغتها وفي البحث عن مقابل للمصطلح الأجنبي الجديد**»[1].

ولعلّ أهمّ ما نستخلصه ممّا تقدّم أنّ عمل لطيف زيتوني، هذا الذي يبدو في ظاهره عملا أصيلا خالص الأصالة، إنّما هو -في حقيقة الأمر- عملٌ من قبيل «**التأليف بالوكالة**»، لأنّه -في جوهره- قائم على الجمع والاقتباس والترجمة. ولكنّ الترجمة فيه -خلافا لما عليه الأمر مع السيّد إمام وعابد خزندار- ترجمة تأخذ من كلّ نصّ بطَرف، وتستفيد من آثار شتّى ذكرها في «قائمة المَراجع»[2]؛ هذه التي ضمّت مائة وخمسين عنوانا، كان رُبُعُها -تقريبًا- في شكل مقالات متخصّصة (36 مقالاً)، وسائرُ ما فيها كُتُبٌ نُشِرَ أغلبُها باللغة الفرنسيّة (111 كتابا) وليس للغة الإنجليزيّة فيها حضورٌ عدا ثلاثة عناوين، لا غير.

ولا ينبغي أن يفهم من حديثنا عمّا سمّيناه «التأليف بالوكالة» أنّنا نبخس لطيف زيتوني ريادتَه في مجال التصنيف المعجميّ المخصَّص للسرد وقضاياه، أو أنّنا نقلِّل من شأن العمل الذي كان سبّاقا إلى إصداره؛ فمثل هذا العمل -وإن كان في جوهره قائمًا على الجمع والاقتباس والاستفادة من عديد المَراجع من خلال ترجمة ما جاء فيها ترجمةً تأليفيّةً- إنّما يمثّل **لحظة مفصليَّة** لا غنى عنها في تداول المعارف، وفي نشرها، وفي الانتقال بها من لغة إلى أخرى، ومن مجال ثقافيّ إلى آخر. ولكنّ غاية ما نرمي إليه -في هذا المستوى من بحثنا- أن نتبيّن كيفيّة تعامل لطيف زيتوني مع المصطلحات، وطريقة معالجته لها، وأن نُدرك الفروق بين المقام الذي وجد نفسَه فيه، مقامِ ما سمّيناه «التأليف بالوكالة»، مقارنةً بالمقام الذي فرضته الترجمة على السيّد إمام وعابد خزندار، هذا المقام الذي يمكن أن نُطلق عليه تسمية «**الترجمة بالأصالة**»، وهو مقامٌ يقتضي من المُعرِّب أن يتقيّد بالنصّ-المصدر الذي ينطلق منه، وأن يؤدِّيَه في النصّ-الهدف أداء "أمينا"، أو أقرب ما يكون إلى "الأمانة".

وإنّ من أوَّلِ ما يمكننا التوقّف عنده لدى معالجتنا لهذه المسألة، ولدى إجرائنا المقارنة بين حال «التأليف بالوكالة»، وحال «الترجمة بالأصالة»، أنّ لطيف زيتوني قد اختار أن يضع لمعجمه العربيّ الذي حمل عنوان: «*معجم مصطلحات نقد الرواية*» مقابلا باللّغة الإنجليزيّة، وهو «*A Dictionary of Narratology*». وما كنّا لنتوقّف عند هذا الأمر لولا ما طالعنا به من وجوه الغرابة التي يمكن إرجاعها إلى سبَبَيْن:

**أوّلهما**: أنّه لا يتناسب مع طبيعة المَراجع التي عوّل عليها الكاتبُ في صياغته لمادّة معجمه، وهي -مثلما بيّنّا ذلك في الإحصاء السابق- مَراجعُ أغلبُها مكتوبٌ باللغة الفرنسيّة (147 مرجعا)، وليس للإنجليزيّة فيها إلاّ حضور محدود (3 مراجع).

1- لطيف زيتوني، **معجم مصطلحات نقد الرواية**، مصدر سابق، ص8.
2- المصدر نفسه، ص227-235.

**ثانيهما**: أنّه لا يتوافق مع طبيعة التكوين الأكاديميّ الذي نشأ عليه لطيف زيتوني وأخذ به على امتداد تحصيله العلميّ؛ فهو -مثلما تدلّ على ذلك سيرتُه الذاتيّةُ الموجزةُ الواردةُ في غلاف المعجم- ذو ثقافة ثانية فرنسيّةِ اللّسانِ، وهو خرّيج السوربون، أعرق المؤسّسات الجامعيّة الباريسيّة. وهذا ما يفضي بنا إلى طرح السؤال الآتي: لِمَ عَدَلَ لطيف زيتوني عن الفرنسيّة، لغةِ مَراجِعه، ولغةِ تكوينِه الأكاديميّ، ومَالَ إلى اللّسان الإنجليزيّ عندما ترجم عنوانَ معجمِه على الغلاف الداخليّ للعمل؟

والذي نذهب إليه، في محاولةٍ منّا لفهم هذه الوضعيّة القائمة على مفارقة جليّة جديرة بالتدبّر، أنّ لطيف زيتوني كان واقعا تحت تأثير معجم جيرالد برنس، وأنّه أراد لمعجمه ذي اللّسان العربيّ أن يكون عديلا لهذا المعجم الرائد، إنجليزيّ اللّسان. والدليل على ذلك ما لاحظناه من تشابه لافت للانتباه بين بعض ما ورد في مقدِّمَتَيْ العملَيْنِ[1].

ولكنّ أكثر ما لفت انتباهنا، في هذا السياق، أنّ لطيف زيتوني قد وَضَعَ إزاء مصطلح (Narratology) الواحدِ، ثلاثةَ مصطلحات عربيّة: مصطلحَ «**نقد الرواية**» (وقد تنزّل من المعجمِ منزلةَ الصدارة، إذ قُدِّمَ في واجهة الغلاف، بل جُعْلَ عنوانا رئيسا للعمل)، ومصطلحَ «**السّرديّة**»، ومصطلحَ «**علم السرد**»، في مواطن أخرى من المعجم.

وإذا نظرنا في طرائق ضبط هذه المصطلحات الثلاثة، وفي صِيَغ تحديدها والتصرّف فيها، ألفَيْنا لطيف زيتوني قَلِقا، متردّدا لحظةَ إجرائه لها هذا المجرى المتعدِّد الذي لا شكّ في أنّه يفضي بالقارئ العربيّ إلى التشتّت والحيرة. وذلك ما أفصحت عنه الفقرةُ الأُولى التي استهلّ بها مقدّمة عمله، حين قال إنّ «غاية هذا المعجم شرح مصطلحات **نقد الرواية، أو بالأحرى** مصطلحات **السَّردية** أو **علم السَّرد**، وضبطُها وربطُ بعضها ببعض»[2]. ففي استعماله عبارة «**أو بالأحرى**»، في هذا المقام، دليل على أنّ المصطلح الأوّل، مصطلحَ «**نقد الرواية**» الذي وَضَعَه مقابلا لمصطلح (Narratology)، والذي اتّخذه عنوانا لمعجمه ونزّله منزلة الصدارة في الغلاف، ليس بالدقّة المطلوبة، ولا يمكن أن يستغرق دلالات مصطلح (Narratology) المقصودة في اللّسان الإنجليزيّ أو أن يستوفيَها، ويأتي عليها كلّها.

---

1- ليس من العسير على من ينظر في مقدّمة معجم جيرالد برنس الإنجليزي، وفي مقدّمة معجم لطيف زيتوني، أن يلاحظ وجوه الشبه بينهما، وكيف يستدعي ثانيهما بعض الأفكار الواردة في الأوّل. ولنا أن نشير -بصورة خاصّة- إلى المثال الآتي:

"Finally, 1 have left out a large number of terms which are no doubt pertinent to the analysis of narrative but which 1 regard as belonging more appropriately in dictionaries of rhetoric, semiotics, linguistics, or literature (e.g., *cooperative principle* and *allegory* or *novel* and romance)." Prince, A Dictionary of Narratology, Opp. Cit., Preface, Pp. IX-X.

وإلى ما ورد لدى لطيف زيتوني، في قوله:

«... ممّا يفرض على السرديّة أن تستعين بالعلوم المساعِدة، كاللسانية وسيمياء الخطاب وعلوم الاتصال وسواها، وأن تستخدم مصطلحات هذه العلوم. لهذا كان فصلُ مصطلحات السَّردية عن مصطلحات العلوم المساعدة والفنون المتداخلة في السرد خيارا يحتمل نسبة من الخطأ والصواب» لطيف زيتوني، **معجم مصطلحات نقد الرواية**، ص8.

2- لطيف زيتوني، **معجم مصطلحات نقد الرواية**، مصدر سابق، ص7.

والحقيقة أنّ لطيف زيتوني، بِقَلَقِه الذي واراه، وبتردّده الذي أخفاه، وهو يضع مصطلح «نقد الرواية» مقابلاً لمصطلح (Narratology)، إنّما يُعبِّر بصورة غير مباشرة عن اقتناعه الضمنيّ بأنّ الرواية ليست الجنس الأدبيّ الوحيد الذي يتجلّى فيه السردُ وتَظهر عناصرُه ومقوّماتُه. فإلى جانب الرواية، ثمّة -من دون شكّ- أجناسٌ أدبيّةٌ أخرى كالأسطورة، والملحمة، والقصّة، والمسرحيّة وغيرها؛ ولكنّ "إكراهات" السياق العربيّ هي التي حملته حملا على التضحية بشروط الدقّة التي تقتضيها صياغة المصطلحات؛ وذلك ما يُفهم من محاولتِه تبرير اختياره، حين قال بنبرة لم تَخْلُ هي الأخرى من التردّد والارتباك: «**وربّما** كان العنوان الملائم لهذا الكتاب، كما تدلّ مادتُه، هو معجم السَّرْدِية، **ولكنني آثرت عنوانا لا ينفّر القارئ غَيْرَ المتابع، بل يستدرجه إلى هذا العلم** الذي تزدهر تطبيقاته في العربيّة ولكنه يحتاج إلى الكثير من الضبط والتحديد ووضوح المفاهيم»[1] .

على هذا النحو، إذَنْ، يتبيّن لنا أنّ مسألة المصطلحات النقديّة ذات الصّلة بالسرد وقضاياه -منظورا إليها ضمن السياقاتِ العربيّة، سياقاتِ بدايات التأليف المعجميّ، على وجه التحديد- ليست مجرّد مسألة "تقنيّة" خالصة تطرحها الصناعة المعجميّة، أو مَحْضَ قضيّة من تلك التي تثيرها الترجمة بصعوباتها ومآزقها؛ بل إنّ الأمر يتعلّق -في جوهره- بإشكاليّة ذات أبعاد أعمق ترتبط بشروط ثقافيّة مدارها البحث عن توازن هشّ بين معارف جمهور القرّاء العرب، من ناحية، وكَمِّ المصطلحات النقديّة الوافدة ونوعِها، من ناحية أخرى.

وفي هذا المستوى، تبدو الوضعيّة الإبستيمولوجيّة التي وجد فيها لطيف زيتوني نفسَه -وهو «المؤلِّف بالوكالة»- غيرَ مختلفة -جوهريّا- عن تلك التي اكتنفت «المترجِمَيْن بالأصالة» السيّد إمام وعابد خزندار، ومُراجع الترجمة محمّد بريري. فقد كان جميعُهم -بالرغم من خصوصيّة المواقع التي صدروا عنها، وبالرغم من اختلاف الأدوار التي نهضوا بها- يُعبِّرون عن لحظة دقيقة، لحظةِ مَطلعِ الألفيّة الثالثة التي شهدت بداية الصياغة المعجميّة العربيّة للمفاهيمِ المتعلّقةِ بالسرد وقضاياه، والانتقال بها من سياقاتها الأجنبيّة إلى سياق لغة الضاد.

ولعلّ من أهمّ ما يميّز هذه اللّحظة أنّها مثّلت حالةَ «صدمةٍ»، لا تكاد تختلف في شيء عمّا وُسِمَ -ضمن سياقات فكريّة وحضاريّة أعمَّ وأشمل- بـ«صدمة الحداثة». فقد وَجَدَ المتقبّلون العربُ أنفسَهم إزاء واقع جديد لا عهد لهم به، سواء أَتَعَلَّقَ الأمرُ بالقرّاء العاديّين، أم بالمتابعين الأكثر اهتماما، أم بالنقّاد والأكاديميّين الذين كانوا يبحثون عن ترسيخ أقدامهم في مجال التخصّص.

ومردّ هذه «الصدمة» -في تقديرنا- أن النقد الأجنبيّ الوافد ظلّ يُحيلُ على نصوص تعود إلى أُمَمٍ شتّى، لها تقاليد وتجارب سرديّة مختلفة، نوعًا وكمًّا، عن تلك المتداوَلة في المجال العربيّ. ووجه الإشكال أنّ الكثير من هذه النصوص كان مجهولا، أو في حكم المجهول، بالنسبة إلى القرّاء العرب؛ لأنّ وسائطَ الترجمةِ الأدبيّةِ العامّةَ لم تُتِحْ لهم إمكانية الاطّلاع عليه اطّلاعا وافيا. ونتيجة لذلك، بدا الخطابُ النقديُّ -رغم محاولات

1- لطيف زيتوني، **معجم مصطلحات نقد الرواية**، مصدر سابق، ص9.

تعريبه ونشره وتذليل صعوباته المفهوميّة والاصطلاحيّة- خطابا لا يُحيل على مادّة إبداعيّة راسخة في ذائقة المتقبّلين العرب ووجدانهم، أو مهيّأة لأن تكون موضوع تحليل معمّق ونظر دقيق في أذهانهم. وليس هذا الأمر -إذا ما تأمّلناه- بالمستغرب، لأنّ الخطاب النقديَّ -في أصل وضعه الإبستيمولوجيّ- هو رجع صدى للنصوص الأدبيّة، وشكلٌ من أشكال تدبّرها والوعي بها.

وممّا عمّق مظاهر «الصدمة» ورسّخ شعور جمهور المتقبّلين العرب بها أنّ النقّاد الأجانب الذين نُقِلت اصطلاحاتهم إلى لغة الضاد صاروا يعوّلون في أبحاثهم ودراساتهم على تجارب سرديّة من خارج الدائرة الحصريّة للأدب. ونقصد بذلك اهتمامهم المتزايد بأنماط إبداعيّة وفنيّة، للسرد فيها تَجَلٍّ مخصوصٌ وحضورٌ متفرّدٌ، كالسينما، والفنون البصريّة، والأعمال الرقميّة، بل حتّى الألعاب الإلكترونيّة، هذه التي قد تبدو لنا -في الظاهر- مجرّد وسيلة من وسائل التسلية، ليس لها من هدف سوى تمضية الوقت، وإذكاء روح التنافس بين المتبارين، وإيقاظ الحماسة فيهم؛ ولكنّها تقوم -في الباطن- على مخطّطات سرديّة مُحكمة البناء، دقيقة الوضع.

وحاصل الأمر، أنّ الجهود المعجميّة العربيّة المتخصّصة في دراسة السرد وقضاياه، والدراسات النقديّة التي سبقته ظلّت تشكو -على امتداد عقود من الزمن وإلى حدود مطلع الألفيّة الثالثة- ممّا يمكن أن نُطلق عليه حالةَ «انعدامِ تزامنٍ» (désynchronisation / desynchronization) بين المادّة التي انطلق منها النقّاد والدارسون واتّخذوها موضوعًا، لهم من ناحية، والمصطلحات التي ترجموها ونقلوها، والتي هي وليدة تلك المادّة، من ناحية أخرى؛ سواء أتعلّق الأمر بالنصوص الأدبيّة أم بغيرها من الأنماط الإبداعيّة والفنيّة.

فإذا كان وقعُ «الصدمة»، إلى حدود مطلع الألفيّة الثالثة، على هذا النحو الذي كشف لنا عنه تحليلُنا لسياقات تصنيف لطيف زيتوني معجمَه؛ فكيف صار الأمر، بُعَيْدَ عَقدٍ من الزمان تقريبا، مع محمّد القاضي وجماعته، وهم الذين ألّفوا «معجم السرديّات» الجديدَ، عربيَّ اللّسان؟ وكيف تعامل أصحابُ هذا المعجم مع المصطلحات؟ وما هي أبرز تجلّيات وعيهم بإشكالاتها وقضاياها؟

لم يخرج محمّد القاضي وجماعته عن المقام الذي سبق أن أدرجنا فيه لطيف زيتوني، مقامِ «التأليف بالوكالة»، ولم يَقَعُوا بعيدا عن مرتبة «الترجمة بالأصالة»، تلك التي نزّلنا فيها كلاًّ من السيّد إمام وعابد خزندار. ويتأكّد لدينا هذا الأمر من خلال النظر في مقدّمة العمل التي أشار فيها محمّد القاضي إلى أنّ «فريق المعجم عمد إلى الرجوع إلى المصطلحات والمفاهيم السرديّة في مظانّها الغربيّة: الفرنسيّة أوّلا والإنكليزيّة في الدرجة الثانية، يتفهّمها، ويشقّق معانيها»[1].

ولكنّ التعويل على الترجمة أداةً للتعريف بالمصطلحات النقديّة الأجنبيّة، ومدخلا إلى ضبط دلالاتها الوافدة، وسبيلا نحو محاولة إدراجها ضمن سياقها الجديد، سياق لغة الضاد، لا يعني أنّ جهود المصنّفين قد اقتصرت على الخروج بالمادّة الاصطلاحيّة من لسانٍ إلى آخر. فقد سارع أصحاب المعجم إلى الاستدراك والتوضيح، قائلين: «غير أنّ عملنا -وإن كان في أغلبه مستمدّاً من تلك المَراجع- **لا يُعَدُّ اجترارًا لها**. ذلك أنّنا

1- محمّد القاضي وآخرون، **معجم السرديّات**، مصدر سابق، ص6.

عمدنا في حالات كثيرة إلى المقابلة بين المفاهيم عند مُنَظِّرٍ واحدٍ أو عند مُنَظِّرَيْن فأكثر، والموازنة بينها، وبيان التطوّر التاريخيّ الذي طرأ عليها»[1].

والذي نفهمه من قولهم هذا أنّ جهودهم في التصنيف قد تخطّت بهم المستوى الأدنى: مستوى النقل القائم على إعادة إنتاج المعارف وتيسير الوصول إليها في لغة أخرى غير لغتها الأجنبيّة الأصليّة؛ وأنّها أتاحت لهم أن يبلغوا مستوى أكثر شمولاً وعمقا، يمكن تلخيص أبرز ملامحه في خطوات أربع ساروا على هديها:

**أولاها**، نقد الأعمال السابقة، أي معجم لطيف زيتوني، ومعجم جيرالد برنس في نسخته الأصليّة، وفي نُسختَيْه المُعرَّبَتَيْن. وقد رأى محمّد القاضي وفريقه أنّ هذَيْن العملَيْن -بصِيَغِهما المختلفة- «لا يشملان المصطلحات السرديّة، ولا يقدّمان للمصطلح شرحا وافياً، **ولا يلتزمان خطّة واضحة في وضع المصطلح**»[2].

ولم يقتصر نقد محمّد القاضي وجماعته على هذَيْنِ المصنَّفَيْن فحسبُ، بل إنّه امتدّ ليشمل سائرَ الدراسات العربيّة التي بدت لهم مجرّد أعمال تشكو من «كثرة المصطلحات المتداوَلة [...] وقلّة التنسيق بين الباحثين في شأنها، حتّى تعدّدت مقابلات المصطلح الواحد وتَعَسَّرَ على المصطلح أن يضطلع بدوره التحديديّ» [3].

وأمّا **الخطوة الثانية** -هذه التي تنزّلت من سابقتها منزلة "نقيض الأطروحة" (Antithèse)- فقد بدا أصحاب «معجم السرديّات» فيها حريصين على استيعاب العناصر الإيجابيّة الكامنة في جهود كلّ من جيرالد برنس والسيّد إمام وعابد خزندار ولطيف زيتوني، وغيرهم من الدارسين العرب، مشرقًا ومغربًا. فهذه الأعمال -بالرغم من نقائصها، بل بسبب هذه النقائص- مثّلت -في نظرهم- أفضل سبيل يتيح للباحث أن يعيد النظر في أدواته، وأن يُجوِّدَها ويصقلها. ومن هذا المنطلق، لم ينظر محمّد القاضي وجماعته لعملهم، على أساس كونه قطيعةً مع الأعمال التي سلف لهم نقدها، بل إنّهم عَدُّوه «حصيلة للجهود السابقة [...] يفيد ممّا أُنْجِزَ، ويتجنّب -ما أمكن- أن يكرّر الأخطاء»[4].

وقد تجلّت الإفادة، على وجه الخصوص، من خلال إشارة الفريق إلى أنّ معجمهم «لم يغمط الباحثين السابقين جهدهم بل أثبت كلَّ مصطلحٍ اقترحوه -وإن لم يُقِرَّهُ- في موضعه من الترتيب الأبجديِّ، ووضع إزاءه كلمة "راجع" للإشارة إلى المصطلح المعتمد [...] الذي يجد فيه القارئ ضالّته»[5]. وفي مسعى منهم إلى تفسير هذا النهج الذي ساروا عليه، أكّد أصحاب «معجم السرديّات» رغبتهم في «تكريس التراكم المعرفيّ الذي لا يكون إلاّ إذا بنى اللاحق على السابق»[6]، وأبرزوا حرصهم على «الأخذ بيد الباحثين والطلبة حتّى لا تحدث في أذهانهم بلبلة ولا قطيعة مع السائد. فإن عاد أحدهم إلى دراسة سابقة فيها مصطلح لم يُؤْخَذْ به في هذا

---

1- محمّد القاضي وآخرون، **معجم السرديّات**، مصدر سابق، ص7.
2- المصدر نفسه، ص6.
3- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
4- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
5- المصدر نفسه، ص7.
6- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

المعجم، فإنّه يجد في الكتاب ذلك المصطلح وأمامه المصطلح الذي أقرّه فريق المعجم»[1]. وتتويجا لهذا المسار، نفى محمّد القاضي وفريقه أن تكون «قاعدة العمل في [مصنَّفهم] إلغاء الغير، ولا محو ما قاموا به، وإنّما [القاعدة] هي إنشاء حلقات معرفيّة تُسْلِمُ -مع الزمن- إلى توحيد المصطلح، وتساعد -بناء على ذلك- في تقدّم البحث العلميّ»[2].

وأمّا **الخطوة الثالثة**، فقد تجلّت من خلال كيفيّة تعامل أصحاب «معجم السرديّات» مع المَراجع[3]، هذه التي بلغ عددها -استنادا إلى الإحصاء الذي قمنا به- 277 مرجعًا[4]؛ منها 221 كُتبت باللغات الأجنبيّة (214 بالفرنسيّة، و7 بالإنجليزيّة) بالإضافة إلى 56 مرجعا عربيّا ومعرَّبًا.

ولا مناص من أن نتوقّف، في هذا المستوى، عند ما نَعُدُّهُ إضافةً حقيقيّةً تُحْسَبُ لمحمّد القاضي وفريقه؛ ذلك أنّهم لم يكتفوا بالمَراجع وحدَها، بل استندوا في عملهم إلى 83 **مصدرا**، كانت جميعها مكتوبة بلغة الضاد. وقد ضمّت آثارا من الأدب العربيّ القديم تعود إلى مراحل تاريخيّة مختلفة، كتبها أعلامٌ مثل ابن جبير، وابن شهيد الأندلسي، وابن المقفّع، وأبي الفرج الأصفهاني، والجاحظ، والحريري، والطبري، والمعرّي، والهمذاني، وغيرهم؛ بالإضافة إلى آثار أخرى عديدة منتقاة من الأدب العربيّ الحديث شملت كتابات مبدعين من مختلف أقطار المشرق والمغرب، مثل: صنع الله إبراهيم، وسهيل إدريس، ويوسف إدريس، وفؤاد التكرلي، ومحمود تيمور، وجبرا إبراهيم جبرا، وطه حسين، ويحيى حقّي، وإلياس خوري، والطيّب صالح، ونجيب محفوظ، وفرج الحوار، والبشير خريّف، وعلي الدوعاجي، ومحمّد شكري، وفوزيّة العلوي، وهشام القروي، وأحلام مستغانمي، وغيرهم.

وأمّا **الخطوة الرابعة والأخيرة**، وهي تتويجٌ لسابقاتها، وحصيلة ما تقدّم منها؛ فتمثّلت في التزام محمّد القاضي وفريقه بتطبيق ما سَمَّوْهُ «مبادئ الخطّة الاصطلاحيّة»[5]؛ خطّةٍ تقوم على أركان ثلاثة: «**أوّلها**: اعتماد الترجمة باستخدام اللفظ المعروف في لسان العرب ما كان ذلك ممكنا؛ **وثانيها**: توليد المصطلح باعتماد قواعد الاشتقاق من الفصيح؛ **وثالثها**: الاقتراض باللّجوء في حالات قليلة إلى التعريب من اللغات الغربية، وذلك حين ينعدم المقابل العربيّ أو يَقْصُرُ الاشتقاق عن الوفاء بالغرض، أو يكون مَدْرَجَةً للاشتراك(polysémie)»[6].

وخلاصة ما تقدّم أنّ النهج الذي قام عليه تعامُل أصحاب «معجم السرديّات» مع معضلة المصطلح يؤوب إلى ثلاثة أصول كبرى، وهي: **النقد**، **والاستيعاب**، **والتجاوز**. وما كان لهذه الأصول أن تؤتي أُكُلها لولا السياق التاريخيّ، والسياق المعرفيّ اللّذان اندرجت ضمنهما. فقد أتاح التأخّر في الزمان لمحمّد القاضي

---

1- محمّد القاضي وآخرون، **معجم السرديّات**، مصدر سابق، ص7.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3- المصدر نفسه، انظر «ثبت المصادر والمراجع»، ص485-503.

4- يجدر التنبيه إلى أنّ خطأ قد تسرّب إلى قائمة المراجع (في الصفحة 502 من العمل، تحديدًا)؛ فقد ذُكِرَ المرجع الآتي مرَّتَيْن:
Tarchouna (Mahmoud), 1982, *Les marginaux dans les récits picaresques arabes et espagnols*, Tunis.

5- محمّد القاضي وآخرون، **معجم السرديّات**، ص7.

6- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وفريقه أن **يدركوا** مواطن القصور في الأعمال السابقة، وأن **يتداركوها**؛ وأن يستثمروا -بناء على إدراكهم والتدارك- عناصر القوّة الكامنة فيها. وبهذا المعنى، يمكننا القول إنّ عملهم كان وليد ما يُعرف في فلسفة العلوم بـ«المسافة الإبستيمولوجيّة»[1] (Distance épistémologique / Epistemic Distance)، هذه التي يَسَّر لهم اتّخاذُها أن يبتعدوا عن المُنجز السابق، وأن يَجمعوا -في ذات الحين- بين الوعي بقديم المعارف، من جهة، وتأصيل جديدها، من جهة أخرى؛ وفق صيغة تَحَقَّقَ على أيديهم فيها التراكمُ، وتطوّرت المكتسباتُ النظريّة، وكان التطبيق لها سندا، والإجراء ظهيرا. وذلك ما أكّده أصحاب المعجم أنفسهم، بصورة جليّة، من خلال إشارتهم إلى أنّ عملهم جاء لـ«يوضّح الغوامض، ويقف على الفويرقات، ويقدّم مداخل تجمع بين الجانبين النظريّ والتطبيقيّ»[2].

ولكن، فِيمَ تجلّت الحصيلة الاصطلاحيّة للمعجم؟ وما هي أبرز النتائج التي آلت إليها جهود محمّد القاضي وفريقه؟ وهل نجحت فعلاً في تجاوز معضلة المصطلح؟

تقدِّم لنا المعطيات الإحصائيّة إجابة أوّليّة على هذا السؤال. وهي إجابة ذات طابعٍ كميٍّ، يتّضح لنا من خلالها أن المداخل الاصطلاحيّة التي وردت في «معجم السرديّات» قد بلغ عددها 338 مدخلا، أي أنّها تُشكِّلُ ما يقارب ضعف عدد نظيراتها في معجم لطيف زيتوني الذي ضمّ 185 مدخلاً؛ وهذا ما يدلّ دلالة واضحة على أنّنا إزاء إضافة معرفيّة لا مجال لإنكار قيمتها.

لكن، وبصرف النظر عن المعطيات الإحصائيّة، فإنّ الخدمة الجليلة التي قدّمها محمّد القاضي وجماعته، إنّما تتجلّى -حسب تقديرنا- في إقدامهم على ما لم يُقدِم عليه أحدٌ من قَبْلِهِم. فقد عمدوا -في جلّ المصطلحات التي ضبطوا تعريفاتها- إلى استحضار نصوص المصادر الأدبيّة القديمة والمُحْدَثة، المشرقيّة والمغربيّة، هذه التي سلف أن أشرنا إليها آنفا، وظلّوا يستشهدون بها، ويفسّرون من خلالها دقائق المفاهيم، ويرفعون بواسطتها الغموض عن المصطلحات. وذلك ما أتاح لهم أن يرسّخوا لدى قرّاء «معجم السرديّات» العرب الشعور بأنّ المصطلح النقديّ ليس قادمًا من أفق نصوص أدبيّة غريبة عنهم، وليس رجع صدى لتجارب إبداعيّة يجهلونها، وليس دخيلا على أذواقهم ووجدانهم، أو مُسْقطًا على أذهانهم؛ بل هو قريبٌ من الأعمال التي يعرفون، وثيق الصلة بالثقافة التي عنها يصدرون.

وعلى هذا الأساس، يمكننا القول إنّ معجم محمّد القاضي وفريقه، وهو يعتمد المنجز الإبداعيّ العربيّ وينطلق منه، إنّما يتخطّى ما سمَّيْناه سابقًا حالةَ «انعدام التزامن» بين المصطلح النقديّ ذي الأصول الأجنبيّة، من جهة، والمادّة الأدبيّة وغير الأدبيّة التي يتّخذها موضوعا له، من جهة أخرى.

---

1- حول مفهوم «المسافة الإبستيمولوجيّة»، انظر:

Ivan VukoviĆ et Arnaud François, ***Epistémologie française/French epistemology*** (Belgrade, Institut za filozofiju et all., 2014), p.193, 251.

Casey Doyle, Joe Milbur, and Duncan Pritchard, ***New issues in epistemological disjunctivism*** (New York, Routledge Editions, 2019), p.327.

2- محمّد القاضي وآخرون، **معجم السرديّات**، مصدر سابق، ص6.

وتكريسا لهذا النهج نفسه، نهج محاولة استنبات المصطلحات في بيئتها الجديدة، وقفنا في «معجم السرديّات» على مداخل ذات مرجعيّات وأصول عربيّة خالصة؛ ونقصد بذلك -على وجه التحديد- مادّة «خبر» (ص. 170) ومادّة «مقامة» (ص. 407)، ومادّة «نادرة» (ص. 449)، وهي موادُّ يُعَدُّ الاهتمام بها شكلا من أشكال تنزيل الإرث العربيّ القديم المنزلة التي هو بها جديرٌ، جنبا إلى جنب مع سائر الأجناس السرديّة المُحدثة. وبذلك، يمكننا القول، إنّ معجم محمد القاضي وفريقه كان -تماما مثلما صرّح أصحابُه في مقدّمة عملهم- معجمًا «منغرسا في ثَرَى الثقافة العربيّة، لا مجرّد صدى للثقافة الغربيّة»[1].

لكن، وفي مقابل هذا الحرص على تنزيل المصطلحات النقديّة ضمن سياقاتها العربيّة، وفي مقابل التركيز على وَصْلِها بالمصادر الأدبيّة القديمة والمُحْدَثة، فإنّ أصحاب المعجم قد عمدوا إلى الاقتراض. فمن بين 338 مصطلحا شكّلت محتوى «معجم السرديّات»، وقفنا على تسعة مصطلحات ظلّت مادّتها الصوتيّة، ومحمولاتها الدلاليّة مجافية للّسان العربيّ القويم، منشدّة إلى أصولها الأجنبيّة، تذكّرنا بها، وتُرجع في أذهاننا صداها. ويتعلّق الأمر بالمصطلحات الآتية: «أليغوريا» (ص. 34)، و«بانوراما» (ص. 49)، و«ديكور» (ص. 192)، و«سيناريو» (ص. 269)، و«فانتاستيكي» (ص. 305)، و«كرونوتوب» (ص. 355)، و«كولاج» (ص. 358)، و«موتيف» (ص. 428)، و«مونولوج» (ص. 432). وهي مصطلحات شكّلت -إحصائيّا- نسبة 2.66 % من مجموع ما ورد في «المعجم».

ومهما تكن حال المصطلحات التفريعيّة، في مصنّف محمّد القاضي وفريقه، وبغضّ النظر عن أشكال حضورها، وصِيغ استنباطها، وطرائق بنائها -سواء أكانت اشتقاقا من الفصيح الدقيق، أم اقتراضا من الأعجميّ الدخيل- فالثابت لدينا أنّ المقابل العربيّ لمصطلح (Narratology) الإنجليزيّ ولمرادفه الفرنسيّ (Narratologie) قد استقرّ على هيئة واحدة، ولم يزاحمه أيّ مُقابلٍ آخر سواه. ذلك أنّ أصحاب العمل ظلّوا متمسّكين باستعمال مصطلح «السرديّات» على امتداد صفحات المعجم التي ناهزت الخمسمائة، ولم يحيدوا عنه إلى غيره.

ولكن، هل يكفي أن يلتزم مصنِّفو معجم واحدٍ (حتّى "وإن كان الأخير زمانه") بمصطلح أَوْحَد يُجرونه مقابلا للمصطلح الإنجليزيّ (Narratology) وللمصطلح الفرنسيّ (Narratologie) حتّى تجد المعضلة الاصطلاحيّة حلاّ لها؟ أَوَلَمْ يكن السيّد إمام، منذ سنة 2003، السبّاق -حقّا- إلى إجراء مصطلح «السرديّات» في غلاف ترجمته، فهل عصمه استعماله ذاك من الوقوع في الزلل، زلل الإشراك والتعدّد الاصطلاحيّين؟ وهل تكفي الجهود الفرديّة -أيّا تكن القيمة التي تحملها في ذاتها- لكي نتخطّى القضايا التأصيليّة التي ظلّت ملازمة للمصطلحات، في مجال السرد كما في غيره من التخصّصات النقديّة الدقيقة؟

لا مناص لنا من التذكير -ونحن ضمن سياق نختم به القسم الثاني من بحثنا هذا- بأنّ الفترة الفاصلة بين صدور «معجم مصطلحات نقد الرواية» للطيف زيتوني(2002)، من ناحية، ونَشْرِ محمّد القاضي

1- محمّد القاضي وآخرون، **معجم السرديّات**، مصدر سابق، ص7.

وجماعته «معجمَ السرديّات»(2010)، من ناحية أخرى؛ ليست بالفترة الطويلة، أو الممتدّة في الزمان. فظهور عمل محمّد القاضي وفريقه -وإن تأخّر زهاء عقد من السنوات عن سابقه- لا يتيح لنا القول بأنّه واقع ضمن مرحلةٍ تاريخيّةٍ قائمةٍ بذاتها، متفرّدةٍ بخصائصها، مغايرةٍ لما قَبْلَها؛ بل إنّنا نميل إلى الإقرار بأنّ المصنّفين جميعهم -لا نستثني منهم حتّى المعرِّبَيْن السيّد إمام وعابد خزندار (2003)- ظلّوا خاضعين لنفس الشروط الإبستيمولوجيّة، وأنّ الفروق بينهم -وإن وُجِدَت من دون شكّ- ليست فروقا نوعيّة، بل هي فروق في درجة الوعي بالمسألة الاصطلاحيّة وفي صِيَغِ الاهتداء إلى حلول لها. ومعنى ذلك أنّنا لا نكاد نرى -على امتداد الفترة التاريخيّة التي اتّخذناها موضوعا للبحث- تغييرا جوهريّا في السياقات المعرفيّة التي حكمت مجمل الإنتاج المعجميّ المخصّص للسرد وظواهره وقضاياه مطلع الألفيّة الثالثة. وليس هذا الأمر -إذا ما تأمّلناه- بالمَعيبِ في ذاته، أو ممّا يبخس جهود المصنّفين الذين درسناهم، بل هو من "طبائع الأشياء" و"سُنَنِ" المعرفة، لأنّ صيرورة الدراسات الأدبيّة ومباحث الإنسانيّات تقوم على أشكال من التراكم البطيء الذي يعسر معه حدوث تحوّلات جذريّة مفاجئة فيها. وهذا ما يدفعنا إلى التفكير في اقتراح حلولٍ وصياغةِ بدائلَ، قد يكون تدبُّرُها والتفكير فيها مدخلاً إلى إعادة النظر في المعضلة الاصطلاحيّة. فما هي هذه الاقتراحات والبدائل؟ وما الذي يمكن أن تقدّمه للباحثين ومنتجي المعرفة؟

## 4- القسم الثالث: الحلول والبدائل:

لا يعني حديثنا عن حلولٍ تُقترح، وعن بدائلَ تُصاغ أنّ ثمّة وصفاتٍ جاهزةً، أو خططا مُعَدّة سلفا، نستطيع إذا ما اتّبعناها أن نتخطّى الصعوبات التي يطرحها الانتقال بالنصّ من اللغة-المصدر إلى اللغة-الهدف، ويمْكِنُنا إذا ما أخذنا بها أن نتجاوز المعضلة الاصطلاحيّة تمام التجاوز. فالأمر ليس بهذه البساطة التي يطالعنا بها ظاهر الأشياء، لأنّ الترجمة -عبر تجاربها المختلفة بين شتّى الألسن والثقافات- فِعْلٌ واقع بين حَدَّيْن: حدِّ العِلم الذي يتطلّب تمكّنا دقيقا جيّدا من المعارف اللغويّة، وحدّ الفنّ الذي يستدعي مهارات فائقة تُراعي سياقات النصوص وخصائصها، وتتنبّه إلى معانيها الأصليّة الأُولى، ومعانيها الحافّة الثواني، وتتفطّن إلى دلالاتها المباشرة، ودلالاتها الإيحائيّة، وغير ذلك ممّا يستدعيه التعامل مع المصادر قبل نقلها إلى من لغاتها الأصليّة إلى لغات الأخرى؛ أي أنّ الترجمة -بهذا المعنى- ليست مجرّد عمل تُطبّق فيه مجموعة من القواعد الثابتة تطبيقا حرفيّا، وليست طائفة من الضوابط والصيغ تُجرَى إجراء آليّا، يكفي أن يأخذ بها المرءُ وأن يُعْمِلَها حتّى يبلغ بالنصّ الذي يُعرِّبه مستوى الجودة والإقناع.

لقد صار القول بوقوع الترجمة في "منزلة بين المنزلتَيْن": منزلة العلم ومنزلة الفنّ، قولاً مُتداولاً، مبذولاً، لا يخفى على المتخصّصين فيها، ولا أن يعزب عن المهتمّين بشؤونها. ومع ذلك، فإنّ النظرَ في قضايا الترجمة ومعالجةَ مسائلها من زاوية إبستيمولوجيّة خالصة يتيحان لنا أن نتخطّى هذا المستوى الأوَّليَّ الأدنى الذي ظلّ جلّ الباحثين يتوقّفون فيه عند مراجعة هذا التركيب أو ذاك، أو استبدال هذه اللّفظة بتلك، أو تحوير هذا المصطلح واقتراح غيره. فبدلا من الاستغراق في الظواهر الجزئيّة، والانشغال بالحالات التفريعيّة، يتيح لنا المنظور الإبستيمولوجيّ الاهتداءَ إلى إحدى أهمّ المسائل، ونقصد بذلك **مسألة الصلة بين حركة الترجمة**، من ناحية، و**مسارات «التثاقف»** (Acculturation)، من ناحية أخرى.

ولقد عبّر سائر أصحاب المدوّنة المعتمَدة -باستثناء السيّد إمام- عن وعيهم بهذه المسألة، وعن إدراكهم لها، مستوياتٍ من الوعي والإدراكِ متفاوتةً. وذلك ما نفهمه من خلال إقرارهم -وفق صِيغٍ شتّى- بأنّهم ليسوا في مقام إنتاجٍ أصيلٍ للمعارف، بل إنّ دورهم هو دور المتقبّل الناقل الذي «يستهلك» ما ينتجه غيره، ليعيد إنتاجه في لغة أخرى. ولعلّ «معجم السرديّات» لمحمد القاضي وفريقه هو العمل الوحيد الذي تخطّى هذا المستوى، مستوى «الاستهلاك» وإعادة الإنتاج، من خلال تنزيله المفاهيم والمصطلحات في بيئة الأدب العربيّ، ومن خلال وصله لها بنصوص المبدعين المشارقة والمغاربة. فقد مثّل اختيارهم المنهجيّ هذا -منظورا إليه من زاوية إبستيمولوجيّة- شكلا من أشكال **توجيه دفّة التثاقف، ووسيلة من وسائل تعديل مسارها، وتصويب وجهتها، وجَعْلِها في خدمة النقد والثقافة العربيَّيْن**. وذلك ما أتاح لهم **تغيير مركز الثقل** في عملهم؛ فبعدما كان عملاً قائمًا، في أساسه، على الترجمة ونقل المصطلحات، صار جهدا تأصيليًّا ومظهرا من مظاهر الاجتهاد في توطين المعارف وتكييفها بما يناسب الحاجيات الفكريّة للقرّاء، والنقّاد، والمتخصّصين العرب.

ولكنّ هذا الجهد -بالرغم من القيمة التي ينطوي عليها- يبدو -في تقديرنا- أقرب إلى الاستثناء الذي يؤكّد القاعدة. ويكفي للتدليل على ذلك أن نشير إلى خمس ظواهر لافتة للانتباه يثبت تواترها أنّ ترجمة المصطلحات في المجال العربيّ تشكو عديد النقائص:

1. صدور أكثر من ترجمة للأثر الأجنبيِّ الواحد في مواطن شتى على امتداد العالم العربيّ، في نفس السنة أحيانًا، وفي نفس مدينة النشر، أحيانا أخرى.

2. غلبة الطابع التجاريّ المتسرّع على كثير من الترجمات، وقلّة الترجمات ذات الصبغة العلميّة الدقيقة.

3. عزوف كثير من المترجمين عن إيراد مسارد، في الصفحات الأخيرة من أعمالهم، تتضمّن قائمة المصطلحات التي استعملوها ومقابلاتها العربيّة المقترحة.

4. تعمّد الكثير من المترجمين الاكتفاء بالترجمة، من دون وضع أيّ مقدّمة لها، توضّح الدوافع التي حفّزت عليها، أو تبيّن وجوه الإضافة التي يمكن أن تحقّقها للقرّاء العرب.

5. زهد جلّ المترجمين عن وضع هوامش وتعليقات على النصوص التي يعرّبونها، يوضّحون فيها دواعي اختيارهم لمصطلحات دون أخرى، وأخذهم ببعضها بدلا من بعض.

إنّ هذه الظواهر التي أشرنا إليها -وغيرها في الحقيقة كثير- تؤكّد لنا -بصورة جليّة- أنّ مسارات التثاقف التي تفعل فعلها في المجال العربيّ، بل تلك التي تخترقه وتؤثّر فيه، هي مسارات تفتقر إلى النضج الكافي، فضلا عن كونها مسارات غير متكافئة؛ لأنّ ما يُنقل من لغة الضاد إلى غيرها من اللغات أقلّ بكثير ممّا يُعرّب فيها؛ ثمّ إنّ هذا الذي يُعرَّب يبدو غير محكوم برؤية شاملة جامعة توجّه الجهود المبذولة، وتُرشِّدها، وتيسّر الاستفادة منها. ومعنى ذلك أنّ المسألة الاصطلاحيّة، ليست مجرّد مسألة "تقنيّة" خالصة، بل هي -في الأساس- مسألة ثقافة تحتاج إلى توضيح خياراتها وإلى تعيين أولويّاتها في صلاتها بغيرها من الثقافات المختلفة.

ولعلّ ما يساعدها على بلوغ ذلك إنّما يكمن في الاستئناس بالمقترحات الآتية:

1. إلزام دور النشر العربيّة باحترام حقوق الترجمة وبضرورة الحصول على تصريحٍ حصريٍّ من الناشر الأجنبيّ الأصليّ، ممّا يحول دون تعدّد الترجمات؛ على أن يكون ذلك التصريح مقيّدا بآجال معقولة محدّدة لإنجاز العمل ونشره.

2. إلزام المترجمين بضرورة وضع مقدّمات للأعمال التي يعرّبونها، حتّى يتسنّى تنزيل أيّ نصٍّ يُنقل إلى لغة الضاد منزلته من الثقافة العربيّة، وتتّضح بذلك وجوه الاستفادة منه.

3. حثّ المترجمين على وضع مسارد تتضمّن قائمة المصطلحات التي استعملوها، ومقابلاتها العربيّة التي اقترحوها؛ حتّى تتّضح -من خلال ذلك- طبيعة الجهد الذي بذلوه، وحدود الاجتهاد الذي أسهموا به.

4. حثّ المترجمين العرب على تكثيف الهوامش والتعليقات في أعمالهم؛ ممّا يتيح للقرّاء والباحثين تبيّن الخلفيّات المعرفيّة، والاختيارات المنهجيّة التي وجّهت المصطلح وحدّدت دلالاته.

5. وضع نماذج تصنيف معياريّة للترجمات التي تصدر ضمن المجال العربيّ، تتنزّل في نطاقها الترجماتُ منازلَ تفاضليّةً، في ما يشبه نظام الاعتماد (من قبيل: ترجمة علميّة معتمدة / ترجمة مقبولة/ ترجمة تجاريّة... وما يمكن أن يجري هذا المجرى).

6. خلق فضاءات حوار تفاعليّ يجمع المترجمين على اختلاف تكوينهم ومرجعيّاتهم وتخصّصاتهم، على نحوٍ يتيح لهم التداول في القضايا الاصطلاحيّة، والاستفادة المتبادلة من خبراتهم، وتقليص الفجوة القائمة بينهم.

7. وضع مساحة واعتبار للهامش الثقافي بين متحدثي اللغتين.

ولعلّ مثل هذه المقترحات العمليّة، تيسّر تقريب الشقّة الاصطلاحيّة القائمة بين المعرّبين، بما يجعل فعل الترجمة فعل حوار حقيقي، وأساسَ بناء معرفيّ يفيد الثقافة العربيّة ويُسهم في جعل مسارات التثاقف فيها مسارات ناضجة خصبة.

## 5- خاتمة:

لقد ظلّ هاجسنا على امتداد أقسام هذا البحث أن ندرس إشكاليّة ترجمة مصطلحات النقد الأدبي العربيّ الحديث، ضمن تخصّص من التخصّصات الدقيقة، بدا لنا أكثر إثارة للقضايا، وأدعى إلى إعمال النظر فيها وتدبّرها ومراجعتها؛ ونقصد بذلك التخصّصَ الذي يتّخذ السردَ وأجناسه وفنونه وسائر تجلّياته موضوعًا له. وكان أن اعتمدنا مدوّنةً معجميّةً قوامُها أربعة أعمال، تتوزّع مناصفةً بين عربيّةٍ ومعرَّبة، ظهرت جميعها على امتداد العقد الأوّل من الألفيّة الثالثة، في ما بين سنة 2002 وسنة 2010.

وحرصا منّا على إكساب عملنا العمق المطلوب، اخترنا أن نعالج مختلف المسائل المطروحة فيه من زاوية إبستيمولوجيّة، فنزّلنا الأعمال ضمن سياقاتها المعرفيّة، وتدرّجنا في فهمها من خلال وصلها بخصوصيّات الظروف التاريخيّة التي انبثقت ضمنها.

وقد أتاح لنا هذا التمشّي الذي سلكناه أن نتفطّن إلى أنّ القضيّة الاصطلاحيّة -هذه التي تبدو عربيّة خالصة، في ظاهرها- إنّما ترجع إلى أصول عميقة تكمن في المصادر الغربيّة الأصليّة الأولى ذاتها؛ وهي مصادر

شكّلت مباحث السرد فيها موضوع تنازع معرفيٍّ حادٍّ، سرعان ما انتقلت آثاره إلى المجال العربيّ، بل إنّ هذا الانتقال أضحى ذا طابع إشكاليّ مضاعف؛ لأنّ القائمين على الترجمة والتأليف -وإن كانوا في جوهر الأعمال التي صنّفوها متقاربين- تفاوتوا تفاوتا واضحا في وعيهم بما يطرحه المصطلح الجامع الذي تتأسّس عليه هويّة المبحث المدروس من قضايا، وتباينوا عند محاولتهم إيجاد حلول لها.

وتأسيسا على هذه الرؤية، اتّضح لنا أنّ إشكاليّة المصطلح -بالرغم من الطابع "التقنيّ" الغالب عليها، والمتأتّي في قسمه الأكبر من خصوصيّة الصناعة المعجميّة و"إكراهاتها"- ليس إلاّ جزءًا من إشكاليّة أعمّ وأشمل هي إشكاليّة «التثاقف»، بما طرحته على الوعي العربيّ من تحدّيات ورهانات.

ومن خلال مقارنتنا لجهود أصحاب المعاجم الأربعة، عربيّها والمُعرَّب، في معالجتهم للمعضلة الاصطلاحيّة، تبيّن لنا أنّ ما بادر إليه محمّد القاضي وفريقه في «معجم السرديّات» قد مثّل حالة فريدة، وُفِّق أصحابها -إلى حدّ كبير- في الوصل بين الوافد والدخيل، من خلال تنزيلهم المصطلحات ذات الأصول الغربيّة في بيئة الأدب العربيّ وفي مجرى نصوصه، ومن خلال نجاحهم اللاّفت في التخفيف من تبعات ما سمّيناه «انعدام التزامن» في العلاقة بين الآثار الأدبيّة التي تسكن أذواق المتقبّلين العرب وتحرّك وجدانهم وتفعل فعلها في أذهانهم، من ناحية، وأدوات الخطاب النقديّ، من ناحية أخرى؛ هذا الخطاب الذي يحاول دائما أن يُعطي معنى آخر لتلك العلاقة، وأن يتفهّمها، ويعيد تمثّلها، وأن يرتقي بها مستوى «الوعي الجماليّ الغُفْل» إلى مرتبة «الوعي الجماليّ اليقظ».

## قائمة المصادر والمَراجع:

### المصادر:


1- برنس (جيرالد)، *قاموس السرديّات* (القاهرة: ميريت للنشر والمعلومات، ترجمة: السيّد إمام، 2003).

2- برنس (جيرالد)، *المصطلح السردي* (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ترجمة: عابد خزندار، مراجع وتقديم: محمّد بريري، 2003).

3- زيتوني (لطيف)، *معجم مصطلحات نقد الرواية* (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون-دار النهار للنشر، 2002).

4- القاضي (محمّد) وآخرون، *معجم السرديّات* (تونس: دار محمد علي للنشر، 2010).

5- Prince (Gerald), *A Dictionary of Narratology* (Lincoln & London: University of Nebraska Press, 1987) .


### المَراجع:


1- ماتن (برونوين) رينجهام (فلزيتاس)، *معجم مصطلحات السميوطيقا* (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2008).

2- المجدوب (عز الدين)، *ثلاث ترجمات لكتاب فردينان دي سوسير*، حوليّات الجامعة التونسيّة، عدد 26، سنة 1987، ص43-61.

3- المجدوب (عز الدين)، *حول ترجمة رابعة لكتاب فردينان دي سوسير*، حوليّات الجامعة التونسية، عدد 31، سنة 1990، ص151-161.

4- Vuković (Ivan) et François (Arnaud), *Epistémologie française / French epistemology* (Belgrade: Institut za filozofiju et all., 2014).

5- Doyle (Casey), Milbur (Joe), and Pritchard (Duncan), *New issues in epistemological disjunctivism* (New York: Routledge Editions, 2019).